مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: Issue No: 89
كانون ثاني January 2015

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الميلادُ المجيد ، والظهورُ الإلهيّ

اللّه ، بعد مَا كَلَّم الآباء بالإنبياء قديماً، بانواعٍ وَطُرُقٍ كثيرةٍ، كَلَّمنا في هذه الأيامِ الأخيرةِ في إبنِهِ، الذي جعلَهُ وارثاً لكلِّ شيءٍ، الذي بهِ أيضاً عَمِلَ العالَمِينَ، الذي هوَ بَهاءُ مَجدِهِ، ورَسمُ جوهرِهِ، وحامِلٌ كُلَّ الأشياءِ بِكَلِمَةِ قُدرَتِهِ.

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

إبراهيم أب الآباء يستضيف الملائكة الثلاثة

الآباء الأجداد والأنبياء في العهد القديم

حينئذ جاءَ يسوعُ مِن الجليلِ إلى الأردنِّ إلى يوحنا ليَعتَمِدَ مِنهُ

بمناسبة عيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

وبدء السنة الميلادية الجديدة

تتقدم جمعية نور المسيح

بأحرّ التهاني والتبريكات القلبيّة

إلى غبطة البطريرك

كيريوس كيريوس

ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

وسائر أعمال فلسطين والأردن

طالبةً بتضرعات وصلوات حارّة

من الله المثلث الأقانيم

أن يَمُنَّ على غبطتكم بنعمه الإلهيّة الغزيرة

لتكون لكم عوناً وسنداً في طريق جهادكم

نحو المزيد من رفع قامة

الرعيّة الروميّة الأرثوذكسيّة

نحو طريق الخلاص بالمسيح يسوع

وللإستنارة العلويّة

في إدارة سدّة البطريركيّة

والشعلة المضيئة الباهرة

لنشر التعاليم

الآبائيّة الخلاصية

لسنين عديدة ومجيدة يا سيّد

وكل عام وانتم بخير

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد الآباء الأجداد وعيد ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

«إنَّ المالئَ الكلّ قد أُفْرِغَ في جَسَد من أجلنا. والأزَليّ قد اقتبَلَ بداءَةً. والذي هو كَلمة اللّه أُضجِعَ كطِفل في مذود البهائم. ليعيد جبلة كل المائتين منذ الأبد.»

أيها الأخوة الأحباء. أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنيّو العبادة .

فعلاً إنَّ سرَّ تجسّد كلمة اللّه، هو سرٌّ غيرُ منطوقٌ به، وهو عظيمٌ وغريبٌ لا يُسبَر غوره، وذلك من جرّاء تدبيره وتجديده لطبيعتنا البشريّة المائتة، بدءاً من آدم الجدّ الأوّل مروراً بجميع الأجداد الذين وُلدوا من بعده والذين ذكرتهم أسفار الكتاب المقدس.

غبطة البطريرك ك. ك. ثيوفيلوس الثالث

لقد إجتمعنا اليوم في هذا المكان المقدّس لنحيي تذكار الآباء الأجداد الذين أعلنوا مسبقاً عن ميلاد المسيح الخلاصي. فالرعاة الساهرين على قطعانهم، لهم دورٌ مهمٌ جداً في هذا الحدَث الفريد ـ الذين سربلتهم الغيرة الإلهيّة ـ عندما سمعوا ترانيم الملائكة: «المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة» (لو ٢ : ١٤) ، كما يذكر الإنجيليّ لوقا: «ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء، قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض: لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب» (لوقا ٢:١٥).

أيها الأخوة الأحباء، هذا الأمر الواقع ، الذي أعلنه الرب للرعاة ؛ ما هو إلاّ ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، من دماء الطاهرة الفائقة القداسة الدائمة البتوليّة مريم. الذي يُعتبر **عثرة وجهالة ، في نظر العالم ، هذا العالم الموضوع تحت تصرّف الشرّير** . (١يو٥:١٩).

أما لعالم الكنيسة فإنّ حدث الميلاد الفريد هو سرٌّ عظيمٌ ومستغرَبٌ، كما يوضّح ذلك الإنجيليّ يوحنا: «ونعلم أن ابن اللّه قد جاء وأعطانا بصيرةً لنعرف الحقّ. ونحن في الحقّ في إبنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحقّ والحياة الأبديّة» (١يو٥:٢٠).

هذا الإله الحقيقي، أظهره لنا اللّه الآب، في المكان والزمان ، من خلال الرجال القديسين ، والآباء الإلهيين مثل: آدم وهابيل ونوح وملكيصادق وإبراهيم وإسحق ويعقوب وباقي رؤساء الآباء ، الذين نحتفل بتذكارهم في هذا اليوم الموقّر. فمن خلال هؤلاء الأجداد ، سبقَ اللّه الآب فخطب بهم الكنيسة التي من الأمم بإبنه ربّنا يسوع المسيح كما يقول المرنّم: «لقد برّرت الجدود بالإيمان أيها المسيح الإله. وسبقتَ فخطبت بهم الكنيسة التي من الأمم، فالقديسون يفتخرون مباهين بأنّه من نسلهم أينعت ثمرةٌ شهيّةٌ شريفةٌ. هي الفتاة التي ولدتك بلا زرعٍ».

هذه الثمرة الشهيّة والشهيرة هي والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم التي أصبحت شريكة ومعاضدة في سرّ خلاصنا بالمسيح إلهنا.

لهذا الطريق الخلاصي كَرَزَ به مسبقاً جميع الآباء الأجداد القديسين الذين ذُكرت أسمائهم في التاريخ المقدس منذ الدهور ، والذين نكرّمهم اليوم.

إنّنا مدعويين ، ومن خلال جهادنا في طريق هذا العالم المليء بالإهتمامات الدنيويّة والشهوات الباطلة، أن نَسلُكَ مَسلَكَ الرعاة إلى بيت لحم. «ونعتصم بدقة بأقوال الأنبياء. فنهتف مع أشعياء النبي بصوت عظيم قائلين: ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابناً هو عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا». عمانوئيل هو ابن العذراء المسيح مبدأ حياتنا، حسب بولس الرسول في رسالته إلى أهل كولوسي (٣:٤).

بكلام آخر أيها الأخوة الأحباء: الإبن الذي قبل الدهور كلمة اللّه الذي وُلِدَ في مغارة بيت لحم هو خالق العالم ، النور والحياة للبشريّة قاطبة. «فيه (في المسيح) كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه» (يو ١:٤-١٥). هكذا يقول الإنجيلي يوحنا البشير.

لهذا السبب كنيستنا المقدسة تدعو جميع أبنائها المؤمنين بفم المرنم قائلة: «ها إنَّ أوان خلاصنا قد اقترب. فتهيّئي أيتها المغارة فإنَّ العذراء قد دنا أوان ولادتها. ويا بيت لحم أرض يهوذا إطربي وتهلّلي. لأنّه منك قد أشرَقَ ربُّنا. واسمعي أيتها الجبال والتلال وضواحي اليهوديّة. فإن المسيح لمحبّته يأتي لكي يخلّص الإنسان الذي هو جبله».

هذا التذكار الإحتفالي الذي نقيمه اليوم للآباء الأجداد القديسين والأنبياء، يحضّنا لأن نجهّز ونهيء مغارتنا الداخليّة ، أي مغارة قلوبنا الروحيّة. «طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون اللّه» (متى ٥ :٨)، هكذا يحضّنا ربّنا يسوع المسيح بلسان متى البشير.

أما الحكيم بولس فيقول: «وأما الآن فأميتوا أعضائكم التي على الأرض: الزنا ، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع ـ الذي هو عبادة وثن ـ الأمور التي من أجلها يأتي غضب اللّه على أبناء المعصية ... فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكلّ: الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض، وإذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ، ولبستم الجديد الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كولوسي ٣:٥–١٠).

إنّ كرازة كنيستنا المقدسة تتمحور حول العقائد الروحيّة والخلاصيّة حيثُ تتألّق مُشِعّة في الأعياد المقدسة ، وخاصة عيد الميلاد المجيد، ميلاد كلمة اللّه مخلصنا يسوع المسيح داخل نفوسنا لتَتِمّ ولادتنا الجديدة ـ ولادة إنساننا الجديد ـ بالمسيح يسوع.

إنّ إيمان كنيستنا المقدسة القويم الرأي ، يرتكز ـ من خلال التقليد الشريف ـ على ما تسلّمته من الآباء الأجداد القديسين والرسل حاملي الروح القدس ، ومن آباء كنيستنا العظام الحاملي اللّه. لهذا السبب نحن مع المرنّم نقول:

«السلام عليكم أيها الأجداد والأنبياء الكرام. فإنّكم نظّمتم شريعة الربّ حسناً. وظهرتم أعمدةً للأعمال راسخة لا تتزعزع. وصرتم وسطاء العهد الجديد للمسيح. وانتقلتم إلى السماء. فتضرّعوا الى الربّ طالبين أن يمنح السلام (لمنطقتنا) وللعالم الخلاص ، ومنيراً لنفوسنا».

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

شذرات ميلادية آبائية

القديس يوحنا الذهبي الفم:

* الشمعة الموقدة أمام أيقونة العذراء تعلن ان هذه هي ام النور.

* مكرمة اكثر من الشاروبيم وممجده أكثر من السيرافيم.

* قد حوت العذراء عوض الشمس شمس العدل الغير مرسوم ولا تَسَلْ هنا كيف صار هذا وكيف أمكن أن يصير الآن؛ حيث يريد اللّه فهناك لا يُراعَى ترتيبُ الطبيعة. أراد. إستطاع. نَزَلَ. خَلَّصَ. جميع الأشياء تطيع له. اليوم الكائن يولد. لانه اذ هو اله يصير انساناً ومع ذلك لا يسقط من اللاهوت الذى كان له ولا صار انسانا بفقده اللاهوت ولا من انسان صار الهاً ينمو بتتابع ، بل الكلمة الكائن صار لحماً.

* ان كان ابن اللّه قد صار ابنا للعذراء فلا تشك يا ابن آدم انك تصير ابناً للّه.

* وُلِدَ بالجسد لكي تولد انت ثانية حسب الروح، وُلِدَ من امرأة لكي تصير انت ابناً للّه.

* إن كان ابن اللّه قد صار ابن لداود، فلا تشك يا ابن آدم أنك تصير ابنا للّه. إن كان اللّه قد نزل أعماقاً كهذه، فأنه لم يفعل هذا باطلاً ، إنما ليرفعنا للأعالي! وُلِدَ بالجسد لكي تولد أنت ثانية حسب الروح. ولد من امرأة لكي تصير أنت ابنا للّه.

* حقاً إننا نجهل الكثير على سبيل المثال: كيف يوجد غير المحدود في الأحشاء؟ كيف يُحمل ذاك الذي يحوي كل شيء، ويولد من امرأة؟كيف تلد العذراء وتستمر عذراء؟

القديس كيرلس الإسكندري:

* السلام لمريم والدة الإله، كنز العالم كله الملوكي، المصباح غير المنطفئ ، إكليل البتولية ، صولجان الأرثوذكسية، الهيكل غير المفهوم، المسكن غير المحدود، السلام لك، يا من حملت غير المحوي في أحشائك البتولية المقدسة.

* أخذ السيد المسيح جسدٌ من امرأة، وُلِدَ منها حسب الجسد، لكي يعيد البشرية فيه من جديد.

* إننا نؤكد أن الإبن وحيد الجنس قد صار إنسانا،... حتى إذ يولد من امرأة حسب الجسد، يعيد الجنس البشري فيه من جديد.

* لنمجد مريم الدائمة البتولية بتسابيح الفرح، التي هي نفسها الكنيسة المقدسة. لنسبحها مع الإبن العريس كلي الطهارة. المجد للّه إلى الأبد.

* من لا يعترف أن عمانوئيل هو اله حقيقي ومن أجل هذا أن العذراء الطاهرة هي والدة الإله لكونها ولدت جسدانياً الكلمة المتجسد الذي من اللّه لكون الكلمة صار جسدا **ليكن محروماً .**

* لنقف في تخشّع ممتلىء بالفرح أمام البذل اللا نهائي الذي **حَوَّلَنا** من عبيد الى حرية مجد أولاد اللّه فتغمرنا بهجة فياضة لهذه المحبة الالهيّة وفي غمرة هذه البهجة تذكّر أن السيدة العذراء عاشتها فى عمقها لتَفَهّمها النعمة الفريدة التي اسبغها اللّه عليها باختيارها الأم لإبنه الوحيد.

* لأن العذراء القديسة وحدها تدعى وتعرف بانها والدة المسيح ووالدة الإله كونها بمفردها لم تلد انساناً بسيطاً بل ولدت كلمة اللّه المتجسد الذى صار انساناً ، ولعلك تسأل هنا قائلاً : هل كانت العذراء ام اللاهوت. أعلم أنه قيل آنفاً ان كلمة اللّه الحي القائم بذاته لاريب في أنه وُلِدَ من جوهر الآب نفسه وأخذ جوهراً خالياً من ابتداء الزمان وهو متحد مع الوالد على هذا الوجه على أنه لم يزل معه وفيه دائماً.

القديس يعقوب السروجي:

* العذراء ما هي إلاّ سفينة غنية فيها ارسل كنز الأب الى المكان المحتاج ليغني المساكين.

* لم تستعجل مريم كمثل أمها حواء التى من صوت واحد صدقت وحملت الموت.

* تفرح البتول اذ صارت أماً رغم بتوليتها.

* عتيق الأيام والعظيم داخل البطن جنينا ، بينما هو غير محدود، وبذلك صارت مريم اعظم من السموات واستضاءت بنوره . فانظر الى السماء والى تلك الأم البتول واخبرني ايهما اقرب اليه ومحبوب لديه؟ فمباركة انت في النساء يا مريم وممتلئة نعمة.

* أنت يا مريم السماء الثانية وافضل من الطغمات السمائية او صارت احشائك مركبة نورانية ترتعد منها الشاروبيم وحدث هذا عندما التقت مريم العذراء باليصابات فقالت بمحبة: «من اين لي هذا ان تاتي اليّ أم ربي» .

* لقد تجسد من مريم العذراء وَوُلِدَ بالجسد ليلدنا بالروح.

تواضع لكي يرفعنا، اتحد بطبيعتنا ليعطينا موهبة الروح القدس لأن ميلاد ملك الملوك ورب الارباب بتجسده من دماء العذراء، كان من اجل خلاصنا.

* كيف أقدر بالألوان العادية أن أرسم صورة هذة العجيبة الجميلة المكرمة جداً والممجدة ، صورة جمالها السامية، لقد عاشت حكيمة ومملوءة حبا للّه لم تتدنس قط بشهوة ردئية، بل سارت في استقامة منذ طفولتها في الطريق الحق بغير خطأ أو تَعَثُّر.

ميلاد المسيح لأجلنا وقبوله الروح القدس لأجلنا للقديس كيرللس الاسكندري

القديس كيرللس الإسكندري

﴿ «أنتَ ابني. أنا اليوم ولدتُك» .

فالذي هو إله قبل الدهور،
بل ومولود من اللّه،
يقول (الآب) عنه إنه قد ولده اليوم
(أي في التجسُّد)،
لكي يقبلنا نحن فيه في التبنِّي،
لأن البشرية كلها كانت في المسيح،
من حيث أنه كان إنساناً.

كذلك مع أن الابن له الروح القدس كروحه الخاص، يُقال إن الآب أعطاه إيَّاه مرة أخرَى، وذلك لكي نربح نحن فيه الروح.

فالابن الوحيد لم يقبل الروح القدس لنفسه ... ولكن لكونه صار إنساناً، فقد صارت له في نفسه كل طبيعتنا، لكي يُقَوِّم الطبيعة كلها وَيُشَكِّلها من جديد على حالتها الأولى ...

إذن ، نرى أن المسيح لم يقبل الروح لنفسه، بل بالحري قَبِلَه لنا نحن فيه، لأن جميع الخيرات بواسطته تتدفَّق نحونا ﴾

عمانوئيل . اللّه معنا . القديس يوحنا الذهبي الفم

﴿ «عمانوئيل» ، هذا الاسم ينطبق بكل حقٍّ على المسيح تماماً من واقع الأحداث، التي تَبَيَّن لنا منها، بصفة خاصة، أنَّ اللّه كان حقّاً معنا ، حينما كان يُرى على الأرضِ عائشاً مع البَشَر، مُبْدياً لنا حُبَّاً واهتماماً عظيم المقدار. ليس ملاك ولا رئيس ملائكة كان معنا حينذاك ؛ بل الربّ نفسه الذي تَنازَل ليَتَوَلَّى بنفسه إصلاح ومصالحة الكلِّ، مُتحادثاً مع الزواني، آكلاً مع العشَّارين ، داخلاً بيوت الخطاة، مانحاً للّصوص القَتلة نَعمة حريّة الضمير، جاذباً المجوس إلى الإيمان، جائلاً في كلِّ مكان، مُقَوِّماً ومُصلِحاً الكل، متآلفاً حتى مع الطبيعة نفسها.

كلّ هذا سبقَ وأعلن عنه النبي إشعياء عندما كان يتكلَّم عن الحَبَل البتولي ونعمة الميلاد الفائق. وإذا كان اللّه هكذا مع البَشر، فلا ينبغي بعد، أن نخاف أو نرتعب من شيء؛ بل أن يكون لنا ثقة تامة باللّه ... وإذ سَبَقَ للنبي إشعياء رؤية كل هذه المجريات قبل وقوعها، طفق يطرب ويتهلّل، ولما أراد أن يُعَبِّر لمُعاصريه عنها بكلمة واحدة، تنبَّأ وقال: «عمانوئيل» ("الذي تفسيره: اللّه معنا") ﴾

مختارات خواطر كاهن

* إن كانت قمّة جبال إفرست أعلى قمّة في العالم، فإنّ قمّة الجلجلة هي أعلى قمّة في الفضائل: **المحبّة**.

* يوجد في القدس حائط المبكى، ويوجد في قدس أقداسك (في داخلك) حائط مبكى على هيكلك المهدوم حيث يسكن روح اللّه.

* قطع يهوذا حبل أناة اللّه الطويل الذي كان يجذبه إلى الأعلى، وتعلّق بحبل اليأس القصير الذي هوى به إلى الأسفل.

* مقصلة الاضطهاد تقطع رأس الجسد ولا تمسّ شريان الروح.

* الرهبنة **موت** والخطيئة **موت**. الأولى تلد حياة، وأمّا الثانية، **فتلد موتًا فموتًا**.

* كثيرون امتطوا جواد الأحقاد عازمين على تعذيب المسيحيّين فرجعوا حفاة الأقدام حاملين صليب إله المسيحيّين .

العظة الأولى في كتاب ميلاد يسوع المسيح

للقديس يوحنا الذهبي الفم

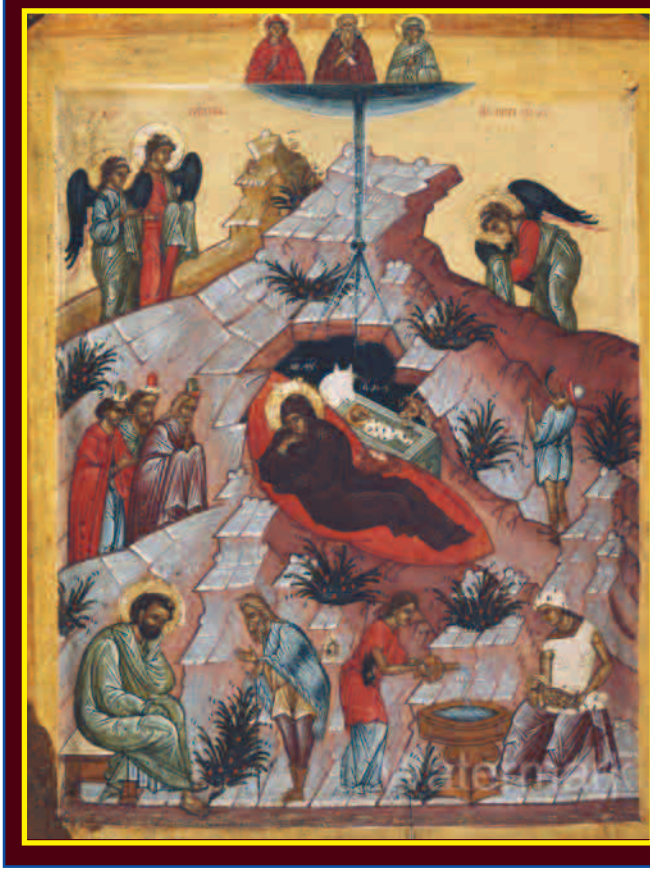

لا شَكّ أنه لا يزال ماثلاً في أذهانكم ذلك الحضّ الذي ختمنا به حديثنا السابق الذي به ناشدناكم أن تستمعوا إلى أحاديثنا بصمت عميق وهدوء تامّ. والآن نحن مشرفون على اجتياز الأروقةَ المقدّسة فلهذا السبب ذَكَّرتكم بذلك الحضّ. إذ كان اليهود عند اقترابهم من الجبل المضطرم بالنار بل من النار نفسها ومن الدخان والدجن والغمام، أو بالحري إذا كان لا يجوز لهم أن يقتربوا منهُ بل أن يشهدوا ويسمعوا فقط، قد أُمروا بأن يمتنعوا عن نسائهم ثلاثة أيام وأن يغسلوا ثيابهم، وأذا كانو استُفزِّوا فَرَقاً ورهبةً هُم وموسى نفسه، فنحن إذ قد أشرفنا على سمَاع كلام مثل هذا وعلى دخول السماء نفسها، فبدلاً من أن نقف بعيدين عنَ الجبل المدخّن يجب علينا بالأولى أن نعطي الدليل على حكمة سامية لا بغسل ثياب جسمنا بل بتطهير ثوب نفسنا وبأن نتحاشى كل اتصال غير طاهر بالأشياء الأرضية لأنكم ستشاهدون لا الدخان المتلبّد ولا الغمام العاصف بل الملك نفسه جالساً على عرش، ذلك الملك الذي لا حَدَّ لوصفه يُحيط به ملائكة ورؤساء ملائكة ورهط القديسين المنضمين إلى الأجواق السماوية التي لا يستطاع عدّها . تلكُم لعمري هي مدينة اللّه تضم إليها كنيسة الأبكار وأرواح الصدّيقين وجمهور الملائكة والدم المسفوك الذي ترتبط به الأشياء كلها بعضها ببعض وبه تتقبّل السماء ما في الأرض، والأرض تتقبَّل ما في السماء، بل مدينة اللّه هي السلام المنتظر منذ القدَم المعطَى للملائكة والقديسين. في تلك المدينة تنتصب العلامةَ المجيدة الباهرة علامة الصليب والأسلاب التي اغتنمها المسيح والانتصارات المحرزة على طبيعتنا وشارات مليكنا. وكل ذلك قد فُصِّلَ بوضوح تام في الأناجيل. فاذا تتبّعت بكل هدوء وإصغاء نستطيع أن نطوفَ بكَ في كل مكان ونريك أين يرقد الموت مستمرّاً، وأين الخطيئة تظلّ معلّقة، وأين تتجمّع غنائم الحرب الوفيرة المجيدة، وآثار النَصر المقدّسة. سترى السلطان الجائر مقيّداً، والعدد الكثير من الأسرى يسير وراءَه، والقمّة التي كان ينقضُّ منها للغزو ذلك الروح المفسد، سترى مخابىء اللصوص ومغاوره مهدَّمة مدمَّرة، لأن الملك سلَّط عليها قوَّته. فلا تَكلّ من الاستماع إلينا أيها الحبيب، لأنه إذا ما قَصَّ عليك أحدٌ معارك عاديَّة وانتصارات وغنائم تستمتع إليه مغتبطاً وتنسى لذلك المأكل والمشرب، فإذا كانت تلك القصص توليك الغبطة فكم بالحري قصّتنا. فتأمّل كم هو جليل أن تسمع كيف تَخَلَّى اللّه عن سمائه وعرشه الملكي لينزل إلى الأرض وإلى الجحيم نفسها ويقف في معسكر القتال، وكيف تهيّأ الشيطان لأن يحارب ضدّ الإله، هذا الإله المختفي في الطبيعة البشريّة لا الإله العاري عن الهيولي. والأغرب أن الموت يتجلَّى لكَ مُدَمراً بالموت، واللعنة مضمحلَّة باللعنة، وسُلطَة الشيطان محطّمة بما كانت تعتزّ به. لننهض إذاً ولا نلبث في سباتنا، ها هي الأبواب تنفتح أمامكم، لندخل بنظام دقيق وخوف مقدّس مجتازين الأروقة الإلهيّة. فما هي هذه الأروقة ؟ «كتابَ ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم» (متى ١:١). ماذا تقول ! كنتَ تريد أن تكلّمنا عن ابن اللّه الوحيد فاذا بك تعيد إلى أذهاننا داود وتحدّثنا عن إنسان كان له آلاف من الجدود وتجعل ذاك أباه وجدّه. ألا فاصبر، ولا تطلب أن يُقال لك كل شيء دفعة واحدة. لنتقدّم ببطء قليلاً قليلاً. انك لا تزال في الأروقة ولم تكد تطأ العتبة فلماذا تندفعُ إلى داخل الهيكل ولم تَرَ بعدُ كل ما في خارجه. أنا لا أُحدّثك عن الميلاد السابق (الولادة من الآب، الولادة الأزليّة) ولا باشرتُ وصف الميلاد الذي يليه لأنّه سرٌّ يعجز عن وصفه عقل البشر وقد سبقني إلى ذلك اشعياء اذ أخبر عن آلامه، وعن العناية العظيمة المرفرفة فوق البسيطة، ودَهشَ لتنازل إله قد صار إلى ما لم يكن فصرخ بصوت جهير: «أما جيله فمن يصفه» (اشعيا ٨:٣٥). لا أُكلِّمك الآن عن هذا الميلاد الإلهي، بل عن الميلاد البشري الصائر على الأرض ، الذي يؤيّده آلاف من الشهود. عن هذا الميلاد نحدّثك ما نستطيع بمؤازرة الروح، لأن هذا الميلاد أيضاً يتعذَّر علينا تبيانه بوضوح كامل إذ تعترضنا في سبيل ذلك عقبات كأداء. لا يُخَيَّل إليك أنكَ تستمع إلى أمور قليلة الخطورة باستماعك إلى هذا الميلاد. فأيقظ ذهنك وارهب من البداية حينما تسمع أنّ إلهاً أتى إلى الأرض. وقد كان هذا الحادث من الغرابَة والعَجب بحيث وقف الملائكة أجواقاً وجعلوا ينشدون تسابيح الحمد في المسكونة كلها عندما نظروا إلى هذا السرّ، ودَهشَ الأنبياء لمّا أدركوا بالروح أن إلهاً يظهر على الأرض ويتردّد بين الناس. والأغرب بأن نسمع بأنّ إلهاً كَلَّ دونه الوَصف والتعبير وقصرت عن إدراكه طامحات العقول، إلهاً مساوياً لأبيه ، حَلَّ في أحشاء عذراء، ورَضِيَ أن يولَد من إمرأة.

وأن يكون داود وابراهيم جدَّين له. وما لي أقول داود وابراهيم وفي الأمر ما هو أشدّ هولاً إذ توجَد بين أجداده نساء زانيات قد جئنا على ذكرهنَّ في الحديث التمهيدي السابق. ألا فاسمُ بعقلك لدى سماعك هذا الكلام ولا تقبل في نفسك ما هو دنيء بل بالأحرى، لهذا السبب، تعجّب كيف احتمل ابن اللّه الأزلي، الابن الذي هو من جوهر اللّه، احتمَلَ أن يُدعَى ابن داود ليجعلك ابن اللّه، احتمَلَ أن يكون أبوه عبداً ليجعل السيّد أباً لك أنتَ العبد. انك ترى منذ بدء المقدّمة ما هي الأناجيل (أي البُشْرَيات). ان كنتَ ترتاب فيمَا يخصّك فكن على يقين جازم ممَّا يتمّ في الابن المتجسّد. وانه لأصعب جداً أن يسلِّم عقلنا البشري بإله يصير إنساناً من أن يسلِّم بإنسان يصير ابن الإله. فإذا ما سمعت بأن ابن اللّه هو أيضاً ابن داود وإبراهيم فلا يخامرك ريب في انك أنت أيضاً تستطيع، وأنت ابن آدم، أن تكون ابن اللّه.

لا لعمري لم يذلّ نفسه عبثاً على هذا النحو لولا الغاية التي يتوخَّاها، ألا وهي أن يرفعنا. قد وُلِدَ بحسب الجسد ليجعلك تولد بحسب الروح. وُلِدَ من إمرأة حتى لا تكون بعدُ ابن امرأة، فلهذا السبب كانت الولادة مزدوجة: ولادة تجعلُه شبيهاً بنا وأخرى تفوق ولادتنا. فالولادة من إمرأة تتفق وطبيعتنا الضعيفة، أما الولادة بالروح التي ليست من لحم ولا من دم ولا من مشيئة رجل، فهي لمَّا يفوق طبيعتنا ولمَّا يبشّرنا بالولادة المقبلة التي سينعم بها الروح علينا. وعلى هذا المنوال تمَّت سائر الأسرار. فعماد المسيح مثلاً فيه عنصر من العهد القديم وعنصر من العهد الجديد. فالعماد الذي تَمَّ على يد النبي يوحنا المعمدان يشير إلى العهد القديم، ونزول الروح القدس إنما يشير إلى العهد الجديد. ومثله في ذلك مثل رجل جعل نفسهُ بين اثنين يمسك بيد كل منهما ثم يضمهما إليه. هكذا فعل المسيح إذ جمع بين العهدين القديم والجديد وبين الطبيعتين الإلهيّة والبشريّة وبين ما لهُ وبين ما لنا.

إنّك ترى أيّ شعاع ألقَى عليكَ المشهد الأول لتلك المدينة، قد بدأ ملكها يتجلّى لك في طبيعتك نفسها كقائد بين جنوده، لأن الملك لا يظهر عادة هنالك بشاراته المألوفة، إنما ينزع أرجوانه وتاجهُ ويرتدي ثياب الجندي حتى اذا لم يتميَّز عن سائر الجنود لا تَنْصَبّ عليه قوّة العدو. فإذا كان ملكنا لم يشأ أن يكون معروفاً فلكي لا يتجنَّب العدوُّ منازلته ولا يُلقي الذعر بين أخصّائه، وهو إنما جاء ليخلّص لا ليهلك. وهذا ما دعا إلى تسميته «يسوع» منذ البداية. «يسوع» كلمة عبرانية معناها مخلّص أخذاً من قول الملاك: «لأنه سيخلّص شعبه». (متى١:٢٢).

أنظر كيف هَزَّ الإنجيلي قلوب مستمعيه مع أنه لم يَفُهْ بسوى كلمات مألوفة، ولكنها كلمات أفضَى بها إلينا جميعاً ولم نكن لنتوقّع ما فيها من الأفكار. لقد كان اليهود يعرفون كلا الاسمين حق المعرفة فانباؤهم بأمور غريبة لم يكن يُحدث فيهم أقَلَّ ريبة لما ان الرموز كانت تسبق الحقائق. فيسوع أو يشوع الذي خلف

داود النبي والملك

موسى أدخَل الشعب إلى أرض الميعاد كما يخبرنا التاريخ. هذا هو الرمز. فانظر أيضاً الحقيقة: ذاكَ يقود إلى أرض الميعاد، أما هذا فإلى السماء إلى امتلاك الخيرات الثابتة؛ ذاك يخلف موسى، وهذا يخلف الناموس؛ ذاك قائد، وهذا ملك. ولكي لا يختلط عليك الإسمان لتشابههما أضاف متى «يسوع المسيح ابن داود» فالأول لم يكن من قبيلة داود بل من قبيلة أخرى.

ولماذا يدعو إنجيله «ميلاد يسوع المسيح» في حين أنه لا يتكلم عن الميلاد وحده بل عن تدبير سرّ التجسّد بأجمعه؟ ذلك لأن الميلاد هو جوهر كل التدبير ومبدأ خيراتنا كلها وأساسها. فكما أن موسى دعا مؤلَّفه «كتاب السماوات والأرض» مع أنه لم يتكلم عن السماوات والأرض فقط بل عمّا بينهما أيضاً. هكذا الإنجيلي عَنْوَنَ إنجيله بما يبدأ به السرّ الإلهي. وإنَّ منتهى الدهشة وما يعدو كل حسبان وانتظار هو أن يصير الإله إنساناً لأنه إذا ثبت هذا فكل شيء يأخذ مجراه الطبيعي المعقول.

لماذا لم يذكر إبراهيم قبل أن يذكر داود؟ ليس الأمر كما يزعم بعضهم من أنه أراد أن يصعد من الأدنى إلى الأعلى على مثل ما فعل لوقا، على أنه عمل عكس ذلك ـ فلماذا ذكر داود؟ لأن اسم هذا كان شائعاً على ألسنة الجميع، ثمّ لأجل شهرته وبسبب الزمن الذي كان يعيش فيه فهو أقرب إليهم من إبراهيم ولذلك كان اليهود يقولون «انه من نسل داود ومن قرية بيت لحم حيث كان داود يأتي المسيح» (يوحنا ٤٢:٧). ولم يعد أحد يدعوه ابن ابراهيم بل كان يُسَمَّى ابن داود لأن هذا كان ذِكْرُهُ ماثلاً في أذهان الجميع نظراً للزمن كما قلت قُبَيل هذا، وبالأخص لأنه كان ملكاً. ان الملوك أنفسهم الذين جاؤوا بعده والذين اكتسبوا احترام الشعب كانوا يحيون ذكرهُ، واللّه نفسه كان يفعل ذلك، فحزقيال وأنبياء آخرون يخبرون بأن داود سيعود ويُبعَث. نعم ليس الكلام عن داود عينه إنما هو عن الذين يقتدون بفضيلته. فقد قال اللّه لحزقيال: «احمي هذا المدينة وأخلصها لأجلي ولأجل داود عبدي» (سفر الملوك الرابع ٣٤:١٩). وكان يقول لسليمان : أنّ لا يُشَقُّ المُلك ما دام داود حيّاً. وقد كان مجد داود عظيماً عند اللّه والناس. فلأجل هذا السبب يبدأ متّى كتابه بذكره، ثم ينتقل إلى ذكر الأب الأول لنسل اليهود باعتبار أنّ ذكر مَن سلفهُ لا يأتي بفائدة عندما يوجّه كلامه إلى هذا الشعب. فهاَ هما الشخصان الأكثر شهرة بين أجداد المسيح وقد كان أحدهما نبيّاً وملكاً وثانيهما جَداً ونبيّاً. ولعله يُقال لي كيف يتضح أن المسيح وُلد من داود وهو لم يولد من رجل بل من امرأة فقط؟ وإذا كانت العذراء لم يُحصَ نسبها فكيف نُثبت انه كان من نسل داود؟ ان هنالك سؤالين: لماذا لا يُحصَى نسب الوالدة؟ وبالحري لماذا يُحصَى نسب يوسف وهو لا صلة له بالولادة؟ يلوح لي أن أحد السؤالين فُضلَةٌ زائدة وثانيهما تدعو إليه الحاجة.

فعن أي شيء يجب أن نتحدّث أولاً؟ كيف العذراء هي من نسل داود؟ أنظر! اللّه نفسه يُرسل الملاك جبرائيل: «إلى عذراء مخطوبة

لرجُل اسمه يوسف من بيت داود وقبيلته» (لوقا ١:٢٧). فأي شيء تراه أكثر وضوحاً من هذا؟ انّ العذراء من بيت داود وقبيلته.

فيستدلّ من ذلك أنّ يوسف هو أيضاً من ذلك البيت وتلك القبيلة لأنّ الشريعة لم تكن تجيز لأحد أن يتّخذ لهُ زوجاً من قبيلة أُخرى لكن من قبيلته نفسها. والحال أن يعقوب رئيس الآباء تنبّأ بأن ماسيّا سيولد من قبيلة يهوذا إذ قال: «لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب» (تك ٤٩:١٠). فهذه النبؤة تدلّ على أنه كان من قبيلة يهوذا ولكنها لا تدلّ على أنه من بيت داود. ألم يكن في قبيلة يهوذا سوى بيت داود؟ بلى. قد كان فيها بيوت أخرى كثيرة، فلذلك قد يكون من قبيلة يهوذا ولا يكون من بيت داود. فلئلاّ تذهب هذا المذهب وتنخدع به أعلن الإنجيلي قائلاً بأن المسيح من بيت داود وقبيلته. وإذا كنت تريد دليلاً آخَر على ذلك فلا يتعذّر عليك تقديمه: ان الشريعة لم تجز للرجل أن يتزوج من قبيلة غير قبيلته فحسبُ بل لم تجز لهُ أيضاً أن يتزوج من بيت آخر أي من غير ذويه. فوالحالة هذه نستطيع إطلاق هذه الكلمات على البتول ويوسف كليهمَا على السواء. لأنه إذ كان يوسف من بيت داود وقبيلته فلم يتخذ له امرأة إلاّ من البيت والقبيلة اللذين كان منهما. ولعلك تقول وما يهمُّ أن نقول ان يوسف تعدَّى هذه الشريعة؟ ان المؤرّخ استدرك هذا الإعتراض فشهد بأن يوسف كان رجلاً باراً. وهذه الشهادة التي تؤيّد فضيلته لا تسمح لكَ بأن تفكّر بأنه تعدّى الشريعة. ان هذا الرجل هو من الشهامة والنزاهة بحيث انه لم يشأ حتى عند اضطراره إلى اتّقاء التهمة أن يسلّم العذراء للعقاب، أيَتَعدّى الشريعة تحت تأثير الغضب؟ فالذي سما بحكمته إلى ما فوق الشريعة (لأنّ تخلية امرأته وتخليتها سرّا كانت حكمة لم ترسمها شَريعةٌ من قَبل) فكيف يسوغ أن نفتكر بأنه يأتي ما يخالف الشريعة وليس ثمة من سبب يُلجئُهُ إليه.

يعقوب أب الآباء ونبوئته بأن من سبط يهوذا يأتي المسيح

قد وضح مما قلناه أنّ العذراء كانت من نسل داود. فمن اللازم أن نبيّن لأيّة علّة أحصى الإنجيلي نسب يوسف ولم يُحص نسبها. لماذا؟ لأنّ الشريعة عند اليهود كانت تمنع إحصاء نسَب المرأة. فاحتراماً لهذه التقاليد ونفياً لكل شُبهة مناقضة لها منذ مقدّمة إنجيله، وبياناً لنسب الإبنة، ولو انه أغفل ذكر أجدادها، أحصَى نسب يوسف. فلو أحصَى نسب العذراء لأُتُّهمَ بالتجدّد، ولو أمسك عن نسب يوسف لخفيت علينا معرفة أجَداد العذراء. فلكي نعلم مَن كانت مريم، وإلى أيّ بيت تنتسب، ومراعاة للشرائع الثابتة، أحصَى نسب خطيبها وبيّن أنهُ من بيت داود، حتى اذا ما ثبت ذلك ثبت أيضاً أنّ العذراء هي من نسل داود أيضاً، لأنه لا يمكن أن يتخذ هذا الرجل الصديق زوجاً له من غير قبيلَة كما قلتُ سابقاً. ولسبب آخر أكثر غموضاً قد أُغفلَ إحصاء أجدادَ مريم، غير أننا أضربنا الآن عنه لأنه لا متّسع لنَا لتفصيله لكثرة ما حمَّلنا أسماعكم من الكلام.

القديس يوحنا الذهبي الفم يتوقف عند هذا الحدّ إلا أنه يناشد المؤمنين قائلاً:

لنقف عند هذا الحدّ من البحث. لنحرص على ما بَيّناه لكم. عَلمنا لماذا جاء الإنجيلي على ذكر داود أولاً، ولماذَا دعا إنجيله «كتاب ميلاد» وَلم يقل « كتاب يسوع المسيح». وَعَلمنا كيف كان جدول الأنساب شائعاً وغير شَائع بين مريم وخطيبها، وكيف ثبت أن مريم من نسل داود ولأيّة علّة أُحصيَ نسب يوسف وأغفل ذكر أجداد مريم. فإن حفظتم ذلك تزيدونا نشاطاً في ما سيَلي من الأحاديث، وإن نسيتموه ونبذتموه تُثبطوا عزمنا وتصدّونا عن مواصلة ما بدأنا به إذ لَيس من فلاّح يرضَى أن يحرث أرضاً يفسد فيها البذار. فلهذا السبب أُناشدكم أن تردّدوا في ذهنكم الدروس التي ألقيتها عليكم. لأنّ العناية بمثل هذه الدروس تُنشىء في نفوسكم خيراً عظيماً خلاصياً. فاذا ما اهتممنا بهذه الأفكار نستطيع أن نرضي اللّه ونُبعد من أفواهنا الشتائم والألفاظ الدنيئة التافهة، فتصبح أحاديثنا مشبعة بروح التقوى الذي نتّخذه سلاحاً ضدّ الشياطين، ونحرز النعمة الإلهيّة غزيرة، وتصير عَينُ نفسنا أحدّ نظراً لأن اللّه وضع فينا باصرَتَيْن وفَماً وأُذُناً لكي تخدمهُ جميع الأعضاء، ونتحدّث بآياته، ونعمل بإرادته، وننشد تسابيحه باستمرار، ونرفع إليه الشُكر، ونُطَهِّر بذلك ضمائرنا. فكما أن الجسم إذا ما تمتّع بالهواء النقيّ يكون سليماً كذلك النفس فإنها ترقَى إلى أعلى درجات الحكمة بالدروس الإلهيّة.

ألا تعلمون أنّ العين لا تكفّ عن إسبال الدموع ما دام الدخان يشملها، وانها تتحسّن وتقوى إذا ما كانت في الهواء الطلق بين جداول المياه والحدائق؟ تلك لعمري حالة عَين النفس فإنها إذا ما اعتادت الاستراحة في تلك المروج الفسيحة الغنية، مروج الكتب الإلهية، تزداد نقاءً ونفوذاً. ولكنها إذا ما غاصت في دخان المهام العالمية فلا تكفّ عن البكاء وذرف العَبَرات لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي. **وعلى الحقيقة أنّ ما يشغل الإنسان في هذه الدنيا إنما هو دخان.** لذلك قال أحدهم:

«واضمحلّت أيامي كالدخان». على أن هذا الرجل كان يتكلّم عن قصَر الحياة وعدم ثبات الأشياء البشرية، أمّا أنا فلا أُشير إلى ذلك المَعنى وحده بل أتكلم أيضاً عمَّا يَجُرُّ ذلك وراءَه من الاضطراب، لأنه لا شيء يؤثر في عيون النفس ويُحدث فيها الاضطراب مثل الإهتمام بالمصالح البشرية وهياج الشهوات الأرضية. ان الخشب هو غذاء الدخان فكما ان الناراذا ما أُلقيَت على مادة رَطبة تثير فيها دخاناً كثيفاً. كذلك الشهوة، هذه النارَ الآكلة، إذا ما شَبَّت في نفس رطبة ومنحلَّة فانها تبعث دخاناً كثيفاً. فلذلك نحن في عوز إلى ندى الروح ونسيم ذلك الندى لكي يُخمد النار ويبدّد الدخان ويجعل العقل يحلِّق كالطير، ولعمري لا يستطيع هذا الطير التحليق في الجوّ ما دام رازحاً تحت أثقال الشرور. حبّذا لو قدرنا أن نقطع هذه الطريق بسرعة الطيور. على أن هذا الأمر لا حيلة لنا به إن لم نتخذ أجنحة الروح. فاذا لم تكن نفسنا مجرّدة تؤازها النعمة الإلهيّة لا يمكن أن نرتفع إلى ما فوق. وكيف يكون لنا ذلك ونحن خالون من تلك المعونة المزدوجة ولاسيما واننا على نقيض ذلك رازحون تحت الأثقال الشيطانية. لو قام أحد فجعل كلامنا في معايير عادلة هل يجد فيه بعد الجهد من الألفاظ الروحيّة ما قيمتهُ مئة دينار؟ وما لي أقول مئة دينار وقد لا تجد فيه ما قيمته عشرة فلوس! أليسَ من المضحك المخجل اننا، إذا كان عندنا عبد، فنستخدمه أكثر الأحيان لما يلزم، أمَّا فَمنا الخاص وبقيّة أعضاء جسمنا فنستخدمها بلا احترام ولا اهتمام لأمور غير مفيدة ولمجد باطل. ويا ليت اننا نقتصر على استخدامها للمجد الباطل والأمورَ غير المفيدة إلاَّ أننا نستخدمها لأشياء وبيلة وسَيِّئة العاقبة. فلو كان في ما نتلفَّظ به نفعٌ لنا لكانت ألفاظنا مقبولة عند اللّه. غير ان كل ما نتلفَّظ به هو من وحي الشيطان. فتارة نمزح وطوراً نفوه بكلام يندى له الجبين خجلاً، مرة نلعن ونشتم، وأخرى نقسم ونكذب ونحلف ، حيناً نستسلم للغضب، وحيناً للمجون وثرثرة العجائز. وليس فينا شيء من الاعتدال. قولو لي مَن منكم إذا طُلبَ إليه يستطيع أن يقرأ مزموراً أو فصلاً من الكتب الإلهيّة ؟ لا أحدَ. ولا يقف الشرّ عند هذا الحد بل انكم مع توانيكم في الأمور الروحية فكلكم نشاط للأشياء الشيطانية. والواقع انه لو شاء أحد أن يسألكم عن أغانٍ أوصى بها إبليس أو عن أشعار غرامية لوجد كثيرين بينكم يعرِّفونها حق المعرفة ويجدون لذّة في ترديدها. فما هو جوابكم على هذه النقائص؟ ـ لعلّك تقول لي انك لست من الرهبان وان عندك امرأة وأولاداً ولك بيت يجب أن تعنى بأمره ـ هذا هو الدمار بعينه إذ تدعون أن مطالعة الكتب واجبةٌ على الرهبان وحدهم، وهي في الواقع ألزم لكم. إنّ المعذّبين بين الأخطار والمصابين كل يوم بالجراح، هؤلاء إنما تجب لهم الأدوية. إن إهمال المطالعة لأقلُّ شرّاً من الاعتقاد بأنها فُضلةٌ زائدة، وما تلك الحجج إلاّ دروس الشيطان.

ألا تسمعون بولس يقول: «إنّ ما كُتب فقد كُتبَ لفائدتنا».

إنَّكَ لا تَرضى أن تَمّس الإنجيل بيدٍ وسخة إذا ما أُ جِئْتَ إلى ذلك ومع ذلك تدّعي أن ما فيه لا ضرورة لهُ ولا نفع ولهذا السَبب أصبح كل ما فينا منقلباً رأساً على عقب. أتريد أن تعلم ما هو النفع الذي تجنيه من مطالعة الكتب المقدسة. إفحص ذاتك فحصاً دقيقاً كيف تصبح إذا ما استمعت إلى تلاوة المزامير وكيف تكون حالك إذا ما استمعت إلى الأغاني الشيطانيّة. وما هو شعورك في الكنيسة وشعورك في المسرح. حينئذ تُدرك الفرق العظيم بين نفسك وأنت في الكنيسة وبينها وأنت في المسرح، على انها واحدة في الحالتين. فلذلك كان القديس بولس يقول: «العشَر الرديئة تُفسد الأخلاق السليمة» (١كور١٥:٣٣). فلأجل هذا السبب نحن في **افتقار مستمرّ لأناشيد تأتينا من الروح القدس**، فهذا هو الذي يجعلنا في منزلة أعلى من العجماوات ، لكننا كثيراً ما نجعلها أحطّ منها لأسباب أخرى. ففي استماع الأناشيد الروحية والكلام الإلهي تجد النفس غذاءَها وزينتها وأَمْنَها، كما أن الإعراض عن الإستماع إليها هو الجوع والانحلال. وقد قيل: «أرسل الجوع على الأرض لا الجوع إلى الخبز ولا العطش إلى الماء بل إلى استماع كلمة الرب» (عاموس ٨:١١). فأي شيء أدعى إلى الرثاء من أن تجلب أنت نفسك على رأسك ما يهددك به اللّه على سبيل العقاب وذلك بإخضاع نفسك إلى جوعٍ كافر وتجعلها في أقصى حالات الضعف. فهي بالكلام تهلك وبالكلام تَخلُص، الكلام يسوقها إلى الغضب وهو يعيدها إلى الهدوء. كلمة شائنة تضرم فيها الشهوة وكلمة طاهرة تثير محبة الطُهر. فاذا كان للكلام المألوف البسيط هذه القوة فقل لي لماذا تزدري بالكلام المُنزَل ؟ وإذا كانت المشورة البشرية تحدث ذلك التأثير فبالأحرى إذا كانت المشورة تؤيّدها قوّة الروح القدس. لأن كلمة من الكتب الإلهية تفعل في النفس المتصلّبة أكثر مما تفعل النار ، وتعدّها لكل عمل حميد. هكذا فعل بولس بأهل كورنثوس فإنه بعد أن وجد روح الكبرياء مستولياً عليهم وَبَّخهم وصَيَّرهم أكثر الناس حُلماً لأنّ ما كان يدعو إلى الخجل والخزي كانوا يتباهون به. فلمَّا حضرتهم رسالة الرسول تبدَّلت أحوالهم. فاسمعوا ما كتب عنهم هذا المعلم نفسه: «انظروا غمّكم هذا الذي غممتموه بحسب رضى اللّه. كم أنشأ فيكم من الاجتهاد، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الاستقامة» (٢كورنثوس ٧:١١).

لنقوَّم على هذا النحو عبيدنا ونساءَنا وأبناءَنا وأصدقاءَنا ولنجعل أعداءَنا أصدقاء لنا. وهكذا الرجال العظام محبّو اللّه أصبحوا خيراً مما كانو عليه. فداود بعد سقطته تأثّر بالكلام وتاب تلك التوبة المدهشة. كذلك بالكلام صار الرسل إلى ما صاروا إليه فربحوا المسكونة. وربَّ قائل ما الفائدة إذا كان المرء يسمع الكلام ولا يعمل به؟ ـ ليس قليلاً أن يتعلّم المرء كيف يسمع، لأنه في بدء الأمر يحكم على نفسه ، ثم يندب ذاته، وبعد ذلك يعمل بما سمع. فالذي يعرف انه خطىء متى يكفّ عن ارتكاب الخطيئة؟ عندما يُقَرِّع نفسه. فلا تزدَر بالاستماع إلى الكتب المقدسة ولا تستسلم إلى فكر الشيطان الذي يصدّنا عن رؤية الكنز لئلا نصير أغنياء. ولهذا السبب يقول لنا: لا أهميّة للاستماع للشرائع الإلهيّة لأنه يخشى اننا إذا ما سمعنا نشرع في العمل. فإذا عرفنا حيلَهُ الخبيثة لنكن منهُ على حَذر مستمرّ حتى إذا ما تقلّدنا تلك الأسلحة نكون في مأمن من شرّه ونضربه الضربة القاضية. وإذ نحمل هكذا شارات النصر نحوز الخيرات المقبلة بنعمة ومحبة سيّدنا يسوع المسيح الذي له المجد والعزّة إلى أبد الآباد آمين.

أيقونة سجود المجوس

للمطران
سلوان موسى

١) تمهيد:

لم يأت ظهور أيقونة الميلاد بكافة المشاهد التي نعرفها اليوم وليد اللحظة، بل خضع لتطوّر تاريخي طويل أفضى بالنهاية إلى التعبير عن الحدث الخلاصي بأمانة للحقيقة وللإيمان اللذَين حفظتهما الكنيسة المقدسة في الكتاب المقدس وتسلمتهما في التقليد الشريف وسكبتهما في الخِدَم الطقسية الكنسية والمجامع المقدسة.

ظهر أول تصوير لحوادث من الإنجيل في القرن الثالث وكان من بينها سجود المجوس.أول الأشكال ظهوراً وانتشاراً عن التجسّد كان أيقونة سجود المجوس، ثمّ تركت هذه الأيقونة مكانها رويداً رويداً لأيقونة الميلاد التي نعرفها اليوم. وحول هذَين التصويرَين تكوّنت المشاهد المختلفة التي رافقت ميلاد السيّد المسيح ، فإما اندمجت في أيقونة الميلاد نفسها كأحد مشاهدها، أو رسمت بشكلٍ مستقلٍّ عنها.

أيقونة الميلاد كما بقية الأيقونات التي تصوّر الأحداث المرافقة لطفولة يسوع (الدخول الى الهيكل ، الهرب إلى مصر، بالإضافة إلى بعض الرسومات التي تُظهر تفاصيل كثيرة من رحلة المجوس وسجودهم للطفل ومشاهد أخرى غيرها) منتشرة في العالم المسيحي شرقاً وغرباً على جدران الأديار والكنائس ، على الأيقونات المحمولة وعلى صفحات المخطوطات المختلفة والأناجيل.

٢) أيقونة سجود المجوس تاريخيّاً وتصويريّاً:

شكّلت هذه الأيقونة موضوعاً منفصلاً بالأساس عن أيقونة الميلاد نفسها. لكنها انضمت رويداً رويداً إلى سلسلة مشاهد ميلاد المسيح وطفولته لتصير في القرن الحادي عشر جزءاً من أيقونة الميلاد نفسها.

يظهر تصوير سجود المجوس مع حادثة ميلاد المسيح بدءاً من القرن الرابع. وبالفعل، إذ غدا المضمون العقائدي واللاهوتي للتجسّد أكثر دقّة وصفاء بعد مواجهة الهرطقات مثل الغنوصية والآريوسيّة، فإن تصوير سجود المجوس كحادثة مستقلّة بنفسها لم يعدْ له دواعٍ في حياة الكنيسة، فزالَ رويداً رويداً، ليندمج في الشرق بأيقونةَ الميلاد كأحد مشاهدها. فقد ساد الرأي أن مشهد المجوس يقع في امتداد مشهد قديم وهو تكريم الأمم المنهزمة للإمبراطور، حيث وجود نجمة فوق رأس الإمبراطور كان يشير إلى أصله الإلهي. هكذا فالمقصود من سجود المجوس كان إبراز الناحية الإلهيّة من التجسّد، أما الناحية الإنسانية فكانت غائبة. وعليه كان من السهل استغلال تصوير هذا المشهد بطريقة مشوّهة من قِبَل الهرطقات إذ ما عُزلَت من ارتباطها العضوي بحدث الميلاد. إلى ذلك هناك المعنى العَباديّ ـ الطقسيّ الذي يتجلّى بتَقْدمَة المجوس للهدايا، فصار هؤلاء بهذا الفعل كهنة. العبادة المقدّمة للطفل هي تماماً على نقيض العبادة الوثنيّة المقدّمة للإمبراطور. هوذا ملك الملوك بهيئة طفل !

٣) معنى سجود المجوس :

مَثَّلَ سجود المجوس بالنسبة للمصوِّرين في الديناميس "الكهوف والسراديب تحت الأرض" ولنُحّات النواويس "صندوق من خشب أو حجر يوضع فيه جثمان الميّت" (القرن الرابع) تعبيراً عن الاستقبال الذي لقيه المسيح من البشرية (القديس باسيليوس الكبير "في الميلاد" ﴿ PG 31, 1469 ﴾. وسرعان ما أضحى تصوير مجزرة أطفال بيت لحم الوجه الآخر من الترحيب الذي لقيه المخلّص.

يراد من تصوير المجوس الإشارة إلى أنهم باكورة الأمم على قدم المساواة مع خدّام اللّه المختارين في العهد القديم: «فإنّ اللّه فتح باب الإيمان للأمم، حتى يبشّر شعبه بواسطة الغرباء (...) ، فإنّ اللّه يحقّق الآن بالمجوس المهمّة عينها التي سبق وأوكلها قبلاً إلى يونان (النبيّ) تجاه أهل نينوى»، كما يقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم (في شرح انجيل متى ، الإصحاح الثاني).

يمثّل المجوس البشرية المتعلّمة غير المتديّنة، فهم علماء ذلك الدهر (علم الفَلَك وليس التنجيم). إن بحثهم عن الحقائق فتح المجال أمام اللّه أن يكلمهم بلغتهم، أي بعلمهم، إن حكمتهم وعلمهم لم يمنعاهم من السجود، بل على العكس قاداهم إلى ذلك.

٤) سجود المجوس بين العهدَين القديم والجديد:

يستند سجود المجوس كما وهداياهم إلى نبوءات العهد القديم: «تأتي إليكِ (أورشليم) غنى الأمم، تحمل ذهباً ولباناً وتبشّر بتسابيح

الربّ» (أشعياء ٦٠:٥-٦). «ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية، ويسجد لك كلّ الملوك» (مز ٧٢:١٠-١١). وعلى هذه الخلفية اعتقد البعض أن المجوسَ ملوكٌ (ترتليانوس: "ضد مركيانوس". ٣:١٣).

يأتي متّى على ذكر المجوس (مت٢:١-١٢و١٦). دون أن يورد عددهم، أسماءهم أو منشأهم. وبينما يصف متّى في إنجيله نبذ اليهود للمخلّص، يعلن أيضاً عن قبول الأمم. موضوع المجوس هو تحقيق لنبوءة أشعيا عن اهتداء الشعوب الوثنية القادمة لتسجد في أورشليم (الفصل ٦٠). فذكر «الذهب والبخور» (متى ٢:١١) يأتي كأنه إشارة إلى أشعياء: «كلهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً، يبشّرون بتسابيح الربّ» (أش ٦٠:٦). وهذا ما يجعل الصورة الشعبية للمجوس مستمدّة من النبوءة فيُدعى المجوس ملوكاً (أش٦٠:٣)، ويظهرون مسافرين على الإبل والجمل (أش٦٠:٦).

٥) دوافع المجوس:

ولكن يا تُرى ما الذي دفع المجوس أن يتحمّلوا كل هذه المشقّات عندما رأوا هذا النجم؟ يبدو أن أهل فارس وعلماءهم (المجوس) كانوا قد حفظوا نبوءة يهود السبي، وقد كان بينهم رجال مشهورين كالفتية الثلاثة وغيرهم، فسمعوا هذه النبوءة عن المسيح الملك: «وسيظهر نجمه عظيماً».

ما الذي قاد المجوس للسجود للمسيح رغم أنهم لم يجدوا، لا في مريم ولا في المغارة ولا في أي أمرٍ آخر، دواعٍ للسجود أو مظاهر ملوكيّة؟ **إنّه النجم!**

لقد كان لهم الإيمان القوي حتى أنهم لم يتعثّروا من كل تلك المظاهر. يقول القديس غريغوريوس پالاماس: «لقد كان تدبيراً إلهيّاً أن النجم غاب عنهم عندما وصلوا إلى أورشليم، وذلك لكي يضطّروا أن يسألوا "أين يولد المسيح، لأننا قد رأينا نجمه وأتينا لنسجد له". فيصيرون بذلك رُسلاً ومبشّرين قبل الرُسل. هكذا تحقّقت نبوءة أشعياء النبيّ (أش١٩:١و٢٣:٢٥)، إذ أن الأشوريين ثم المصريين سيكونون أقرب إلى المولود من اليهود في ذلك الوقت.

لقد كانت أنواع الهدايا التي قدّمها المجوس بشارة بحدّ ذاتها ذات دلالة على مدى معرفتهم بسرّ المسيح ومقدار النعمة التي أضاءت ذهنهم، وتعبيراً عن إيمانهم به كملك وإله وإنسان سيتألّم، على حدّ تعبير إفثيميوس زيغافينوس.

٦) شخصية المجوس، منشأهم، عددهم، وأسماؤهم:

المجوس بحسب هيرودتس هم جنس كهنوتيّ خاصّ لشعب الميديّين، وانتقلت هذه الرتبة بعدها أيضاً إلى بلاد الفُرس. تأخذ كلمة «**مجوس**» معان مختلفة بالنسبة للميديّين والفُرس على السواء فهي تعني الرجُل الحكيم، المعلّم، مفسّر الأحلام، الكاهن، المهتم بعلم الفلَك، العالم بأنواع السِّحر والتقنيّات المختلفة، عالم الديانات والفلسفات.

مَيَّزَ **زرادشت** (القرن السابع قبل الميلاد) ثلاث فئات بين **المجوس: الخرباء، المداب ودستور موداب**. وقد جعل نبوخذنصّرُ الملكُ دانيال النبيّ رئيساً عليهم جميعاً (دا٦:١-٢).

يعتقد البعض ومنهم يستينوس الفيلسوف، أن المجوس الذي سجدوا للمسيح هم من أصل عربي، بلاد ذي لغة ساميّة والتي كانت مركزاً لتجارة مواد نادرة أحضروا بعضاً منها هدايا. ويعتقد البعض الآخر، مثل القديس يوحنا الذهبي الفم، أنهم من بلاد فارس. أما آخرون فيعتقدون أنهم قادمون من بابل. ولكن المؤكّد أنهم وثنيّون، كما تدلّ عليهم عبارات الإنجيل: «ورأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» (متى ٢:٢) يُقصَد «بالمشرق» شرقي بلاد فلسطين.

يختلف عدد المجوس في التصويرات التي عُثِرَ عليها في الديناميس في القرن الثالث، فَهُم اثنان أو أربعة، عِوَضَ ثلاثة مجوس كما أَلِفنا. يتحدّث القديس إبيفانوس أسقف سَالامينا عن ١٥ مجوس، والمغبوط أغسطينوس عن ١٢ مجوس. إلا أن عددهم حدّده في القرن الخامس البابا لاون الكبير بثلاثة، تماماً نسبة لأنواع الهدايا الثلاث المقدّمة.

سجود المسيح لملك السلام

٦) طريقة تصوير المجوس:

في إحدى أنماط تصوير سجود المجوس، والمعروفة بالنمط الشرقي، تظهر والدة الإله جالسة على العرش بمنظار أمامي وليس جانبياً، والطفل جالس على ركبتيها. يغيب يوسف عادة في مثل هذه التصويرات بينما يقف ملائكة حول العرش، خصوصاً في الأعمال التي نُفِّذَت في فترة متأخرة.

يعكس هذا النموذج بشكل من الأشكال حفاوة الإمبراطوريّة الرومية. فالغاية ليس إبراز إحدى معاني هذا المشهد بارتباط مباشر بالميلاد (التجسّد، الخلاص ...)، بل إظهار حفاوة الأمم (أي العالم الوثني) في إستقبال الإله الذي تعرَّفوا عليه. وعليه فإن نموذج المثول في حضرة الإمبراطور بصحبة هدايا مختلفة ولباس يليق بالمناسبة (كاللباس الفارسي مثلاً) ينطبق تماماً على التصوير الذي اعتُمِدَ في سجود المجوس.

قبل المجوس الدعوة الإلهيّة بتواضع ورهبة

يظهر المجوس بأعمار مختلفة، لأن الكَشف الإلهي يُعطَى لكل عمر وَسِنٍّ. يعكس تصويرهم المراحلَ الثلاث للحياة: فالرَّجل الأول (مليكور) متقدّم في السِّنّ، ذو لحية بيضاء، أما الثاني فمتوسطُ العمر (بالتزار)، شَعرُهُ ولحيته ذو لو كستنائي، الثالث شاب (كاسبار) ذو لحية. ظهر هذا التصوير في القرن الرابع، وبات جليّاً في القرن السادس. ترسمهم الأيقونات مرّة مترجّلين، ومرّات على جمال أو أحصنة.

هدايا المجوس في دير بافلو في جبل آتوس

هدايا المجوس (الذهب اللبّان والمرّ) موجودة حالياً في **دير القدّيس بولس في جبل آثوس في اليونان**. هناك تقريباً ثمان وعشرون قطعة، ذات أشكال مختلفة (مَعين، مستطيل، إلخ...). أبعادها: **٥ x ٧ سنتم**. يُكَوِّن الذهب الصفيحة أو السبيكة الذهبيّة. وكل سبيكة تمتاز عن غيرها بأشكال مختلفة وزخرفة متمايزة. أمّا اللبان (البخور) والمرّ (العطور) فيشكّلان معاً عجينة بخّور مطيّب (كما يظهر في الصور المرفقة). وهم سبعون قطعة تقريباً بشكل حبّة الزيتون الصغيرة وحجمها.

هناك ذكر في الأدب الأبوكريفي حول تقديم **الملوك ـ المجوس** لأنواع مختلفة من الهدايا، ونعثر عليها في بعض الرسومات:

* نقود ذهبيّة بالإضافة إلى الهدايا التقليديّة.
* كتاب ويُراد به أحياناً كتاباً يحوي نبوءات بلعام، كما هي الحال في الرسومات الجدارية في كبادوكية.
* سلل من الفاكهة أو إكليلاً.
* أربعة أرغفة خبز.

لقد تقيَّد الآباء بالنص الإنجيلي بما يخصّ نوع الهدايا، ولكن تفاسيرهم تعدّدت في معناها. التفسير التقليدي هو اعتبار **الذهب** إشارة أن المولود ملك ، **اللبان** (أي البخور) إشارة أن المولود إله، **والمرّ** (أي العطور) إشارة إلى آلام المولود فهوَ سَيُطَيَّب ويُدفَن كإنسان ـ القديس إيريناوس.

وهناك تفسير آخر يعتبر الذهب للملك، البخور للكاهن والمرّ للطبيب ـ القديس أفرام السرياني .

في أثيوبيا جرى الإعتقاد أن الذهب للملك، البخور للّه والمرّ للآلام وهذا يعيدنا عملياً الى التفسير الأول. وأيضاً بحسب البعض يرمز الذهب والبخور والمرّ إلى عبادة كلّ من الملائكة والبشر ، والنفوس بالجحيم.

أو الإيمان والرجاء والمحبّة التي يجب على كلّ مؤمن أن يقدّمها للمسيح.

يقول القديس نيقوديموس الآثوسي: إنّ الرب منح المجوس مقابل هداياهم الثلاث مواهب ثلاث:

* مقابل الذهب منحهم نعمة التحرّر من محبّة المال لأنه ملك.
* مقابل اللبان منحهم نعمة التحرّر من عبادة الوثن لأنّه إله.
* مقابل المرّ منحهم نعمة التحرّر من الموت الروحي لأنه تجسّد ومات وقام.

ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: إنّه مهما قدّم الإنسان إلى اللّه فإنّه لا يمكن أن يغلب اللّه بالعطاء، ولو قَدَّم الإنسان ذاته بكاملها فاللّه دائماً غالبٌ بالمحبّة.

في هذا الإطار، ترمز الهدايا إلى كمال تقدمة الإنسان للّه:

* **الذهب:** يُقابل هدية روحية هي القلب النقي كالذهب النقيّ.
* **اللبان:** يقابل الذهن النقي المتلىء بصلاة يسوع الدائمة المرتفعة كالبخور.
* **المرّ:** يقابل رائحة معرفة المسيح الذكية كما يقول بولس الرسول: «ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان، لأننا رائحة المسيح الذكية للّه» (٢كور ٢:١٤). المرّ هو، بعبارة أخرى، علامة إماتة الأهواء.

ويقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم: لم يقدّموا غنماً ولا عجول، بل بالأحرى قدّموا الأمور التي تقرّبهم إلى قلب الكنيسة، إذ جاءوا إليه بباكورة التقدمة: المعرفة والحكمة والمحبّة.

ويقول البابا غريغوريوس الكبير: يُقَدَّم الذهب كجزية للملك، وبالبخور أنه اللّه، وبالمرّ أنه يقبل الموت ... لنُقَدِّم للربّ المولود الجديد ذهباً، مع أنه يملك في كل موضع، ولنقدّم له البخور إذ نؤمن أنه اللّه ظهر في الزمان، مع أنه قبل كل زمان، ولنقدّم له المرّ، مؤمنين أنه وإن كان في لاهوته غير قابل للآم، فقد صار قابلاً للموت في جسدنا.

ويمكننا بهذه العلامات أن نفهم شيئاً آخر. الذهب يرمز إلى الحكمة كما يشهد سليمان: «كنزٌ مشتهى في فم البّار» (أمثال ٢١:٢٠ الترجمة السبعينية) ؛ والبخور الذي يُحرَق أمام اللّه يرمز لقوّة الصلاة: «لتستقم صلاتي كالبخور أمامك» (مز١٤١:٢) ؛ والمرّ يرمز لإماتة أجسادنا، حيث تقول الكنيسة المقدّسة لعامليها الذين يعملون فيها للّه: «يداي تقطران مرّاً» (نشيد الأنشاد ٥:٥). إنّنا نقدّم للملك الجديد الذهب، إن كنّا في عينَيه نضيء بنور الحكمة السماويّة، ونقدّم له بخوراً إن كنّا نحرق أفكار الجسد على مذبح قلوبنا، فنرفع للّه اشتياقنا السماويّ رائحة طيّبة. ونقدّم له المرّ عندما نميت بالنسك شرور شهوات الجسد، فنقول إنه بالمرّ نحفظ الجسد الميّت من الفساد.

تاريخ الهدايا ووصولها إلى جبل آثوس:

يقول لوقا الإنجيلي عن العذراء مريم والدة الصبي إنها «كانت تحفظ كل تلك الأمور في قلبها» (لو٢:١٩ و ٥١). ويؤمن أغلب

المفسرين والآباء أن السيّدة العذراء قَصَّت الكثير من هذه الأمور للإنجيليّ لوقا نفسه، الذي دوّنها في إنجيله.

كانت العذراء بالطبع قد حفظتْ ليس كلمات المسيح وحسب، وإنما كل ما تختصّ بحياته الأرضية أيضاً. وفي التقليد أن العذراء سلّمت قبل رقادها هذه الأشياء إلى كنيسة أورشليم آنذلك، حيث حُفظَت هناك حتى العام ٤٠٠م. (الهدايا وزنارها المقدس...). حينها نقلها الإمبراطور أركاديوس إلى القسطنطينية فَحُفظَت هناك حتى سقوطها على يد الإفرنج (١٢٠٤م). حينذاك نُقلت هدايا المجوس مع مقدّسات وكنوز أخرى متعدّدة إلى نيقية ـ بيثينة لأسباب أمنيّة، والتي كانت العاصمة المؤقتة للإمبراطورية الروميّة آنذاك.

وفي عهد الإمبراطور ميخائيل تراجع الإفرنج فأُعيدت هذه الهدايا إلى القسطنطينية فبقيت هناك حتى سقوطها بيد الأتراك **(١٤٥٣م)** عندما قامت مارو (Maro) ، أم القائد التركي الشهير **محمد المحتل**، وكانت مسيحيّة تقيّة من أصل صربي، بنقلها شخصياً إلى دير البّار بولس في جبل آثوس. فقد كان والدها، الملك جاورجيوس الصربي، باني الكنيسة الرئيسية (الكاثوليكون) على اسم القديس جاورجيوس في ذلك الدير.

بحسب تقليد جبل آثوس، فإن مارو بعد بلوغها ميناء الدير، همّت بالصعود براً إليه. فظهرت لها السيّدة العذراء بشكل عجائبي ومنعتها من التقدّم. فنزل الرهبان من الدير واستقبلوا هذه الهدايا المقدسة في المكان الذي بلغته مارو. هناك بنوا مزاراً شريفاً تذكاراً لهذا الحادث (كما يظهر في إحدى إيقونات الدير)، ورفعوا عليه صليباً وسمّوه «**صليب الملكة**». كما ويُحفظ في أرشيف الدير «**الفرمان**» السلطاني بخصوص تسليم هذه الهدايا إلى الدير. صحّة هذا الحدث وطبيعة المقدسات يثبتهما التقليد الشفوي المتوارث، ولكن بالأخص من الرائحة الذكيّة التي تفيض من الهدايا ومن نعمة اللّه التي تمنح الأشفية حتى اليوم.

رهبان الدير يستلمون هدايا المجوس من الملكة مارو

تحتل «**هدايا المجوس**» المقدّسة المكانة الأولى بين الكنوز الثمينة العديدة الموجودة في الدير، وحتى بين بقايا القدّيسين العديدة. كما رأينا سابقاً، تتكوّن هذه الهدايا من الذهب واللبان والمرّ . خروج «**الهدايا المقدّسة**» من دير البّار بولس في جبل آثوس إلى المدن اليونانية صار تقليداً. جاء هذا التقليد من روح التقوى الشعبية ومن تقدير الدير إلى هذه الحاجة الرعائية. تعتبر هذه المقدّسات من أهمّ ما يمكن أن يَنْقُل إلينا النعمة ويشدّد إيماننا في أيام الميلاد.

يوسف الخطيب والعرّاف بلعام:

يستبعد بعض الباحثين تصوير يوسف في الأيقونة في الفترة المسيحيّة الأولى، ويرون في الرجل الواقف وراء عرش والدة الإله شخصية **العرّاف بلعام**. وقد ربطت الليتورجيا الأرثوذكسية بين شخص بلعام والمجوس: «لقد تمّت رموز بلعام العرّاف لأن الذين كانوا مولعين بالأوهام الفارسيّة لما استناروا بإشراق النجم الغريب متلألئين بالمسيح الشمس التي لا تغيب، أشاروا بهداياهم إلى المتجسّد في بيت لحم أنه إله وملك مائتٌ باختياره» (استيشيرات الإينوس، ٢١ كانون الأول). لكن الشكّ حول هذه الشخصيّة تبدّد نهائياً بعد القرن الثامن، حيث كان يوسف يسمّى باسمه في الأيقونة.

الغطاس وتبريك المياه

للأب أنتوني م. كونياريس كاهن كنيسة الروم الأرثوذكس في مدينة مينيابوليس - الولايات المتحدة الأمريكيّة

أهميّة الماء للحياة:

الماء ضروري ضرورة مطلقة للحياة البشريَّة، فالماء هو الذي يحمل **الدم** خلال ال ٦٠ ألف ميل التي هي أطوال الشرايين والأوردة والشُعيرات الدمويَّة في جسدنا. كما أنّ الماء أيضًا ضروري في عمليّة هضم الطعام، والماء هو الذي يُزلِّق (يُزيِّت) المفاصل، وهو الذي يحفظ الأغشية المخاطية رطبة مُبتلَّة، وهو الذي يُعطي أعيننا القدرة على الإبصار. الماء من خلال العَرَق هو الذي يُنظّم حرارة الجسم، وأخيرًا فالماء ضروري للنبات والحيوان اللذين هما ضروريّان لحياة الجنس البشري وبقائه.

وقد اكتشف العلم الحديث، أن كل ما هو موجود على الحياة الأرضيّة مصدره الماء، وفي أزمنة الأحقاب البدائيّة، كانت كل الحياة في البحار، عندما اكتشف علماء التوليد أنّ الجنين البشري يولَد من السائل المخاطي *amniotic fluid* في رحم الأم، وأن هذا السائل له نفس مُكوِّنات ماء البحر.

عُنصر بدائي:

يتحدّث العلامة ترتليان *Tertulian* عن الماء على أنّه العنصر البدائي الذي بدأت وظهرت منه الحياة فيقول:

«عليك أيها الإنسان أوّل كل شيء أن تُوقّر وتُبجِّل الآثار القديمة للمياه كعُنصر بدائي... فعندما بدأت عناصر العالم أن تنتظم، وعندما بدأت أن تُعطى سكانًا، كانت المياه القديمة هي التي أُمرَت أن تُخرج الكائنات الحيّة. إن المياه القديمة هي التي بعثت الحياة، لذلك لا يجب على أحد أن يندهش من أنّ مياه المعمودية قادرة أن تهب الحياة»(العظة الثانية على المعموديّة).

كم هو جميل ذلك المجاز وتلك الاستعارة التي استخدمها يسوع مُتواترًا عندما كان يقول: «ماء الحياة»، الماء هو الحياة! وكما يلزم الماء لحياة الجسد، هكذا أيضًا لحياة الرُّوح. من المُدهش أن يُختَم الكتاب المقدّس بدعوة للشُّرب من هذا الماء الحي:«مَن يعطش فليأتِ. ومَن يُرِد فليأخذ ماء حياة مجّانًا» (رؤ ٢٢:١٧).

لماذا الماء واسطة للنِّعمة ؟

يتكلّم القدِّيس كيرلس الأورشليمي عن استخدام الماء كواسطة للنعمة فيقول:

«إن كنت تريد أن تعرف، لماذا أنّه بواسطة المياه وليس عن طريق آخر تُعطى النِّعمة، فستجد السبب واضحًا من خلال الكُتُب المقدّسة. الماء شيء مُدهش، وهو الأكثر جمالاً في الأربعة عناصر الكونيّة. السماء مسكن الملائكة، ولكن السموات تكوّنت من الماء. الأرض مسكن البشر، والأرض أيضًا أتت من الماء. ومن قَبل الخليقة التي تمّت في ستّة أيام، كان روح اللّه يرفُّ على وجه المياه. الماء هو أصل الخليقة، وهو أردن الكتاب المقدّس». *(XXXIII, 433A)*

من ثمّ فقد أصبح واضحًا لماذا تستخدم الكنيسة الماء كعلامة للحياة الإلهية للنِّعمة. نحن نخرج من مياه المعموديّة إلى حياة جديدة، مولودين من الماء والرُّوح، وفي هذه المياه عينها تغرق الطبيعة القديمة وتموت. العنصر الخلاق، وأيضًا العنصر الهدّام في المعموديّة يُعبِّران بقوّة عمّا يعمله اللّه لأجلنا في مياه المعموديّة.

تبريك الماء:

تبريك الماء من خلال الصلاة واستدعاء الرُّوح القُدُس مع غمر الصليب المُقدَّس في الماء، صار طقسًا ليتورجياً مُعترفًا به ومُستخدمًا في الكنيسة منذ القرن الرابع. فمن خلال رش المؤمنين بهذا الماء وبختم علامة الصليب وكذلك بالشُّرب من هذا الماء، يتقدَّس المؤمنون ويتباركون ويتطهّرون. كما يُستخدم هذا الماء المبارك لشفاء أمراض الجسد والنفس، ولتبريك المنازل وللحماية من **الأرواح الشريرة**، وتدريجيًا أصبح يُستخدم هذا الماء أيضًا لشفاء الحيوانات المريضة ولبركة المزروعات. تقول صلوات الكنيسة في طقس تبريك الماء: «لكي كل من يغتسل أو يشرب من هذا الماء خلاصًا وصحّة أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، شفاء للمرضى، ولتقديس البيوت، وليكن كافيًا لكل احتياج».

إنّ مياه المعموديّة وكذلك أيضًا المياه المقدّسة في عيد الغطاس تُبارَك بصلوات مُقدّسة تُعيد كل أحداث الخلاص المُعلّقة بالماء، منذ بداية تكوين العالم عندما كان روح اللّه يرف على وجه المياه، إلى أمر يسوع لتلاميذه بعماد الناس: «اذهبوا... عمِّدوهم باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس»(مت ٢٨:١٩). نحن نقرأ في (رؤ ٢٢ : ١ – ٣) عن النهر الصّافي من ماء الحياة الخارج من عرش اللّه، وعليه من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة، وتُعطي كل شهر ثمرها، وورق الشّجرة لشفاء الأمم. ونرى ما يُشبه ذلك في (حز ٤٧:١-١٢). عليك أن تلاحظ أن نهر ماء الحياة مصدره ومنبعه هو من عرش اللّه ذاته.

يتكلّم القديس كيرلس الأورشليمي في عظاته عن تقديس كل شيء بعماد المسيح، ويقول أنّ الخليقة كلها قد تقدَّسَت بحقيقة أن المسيح نزل إلى مياه الأردن وأنّ الرُّوح القُدُس نزل عليه وعلى المياه في نفس الوقت، حيث طرد الشيطان وأبعده، واستخدم المياه كأداة وآلة، والتي من خلالها تولد الخليقة الجديدة، الإنسان الجديد في المسيح. يكتب القدِّيس يوحنا الأورشليمي فيقول:

«لذلك، عندما جاءَ الزمان ليسحق رأس التنين، نزل المسيح إلى المياه وربط القوي، لكي ننال نحن السُّلطان أن ندوس الحيّات والعقارب. لم يكن هذا حيوانًا هيِّنًا، بل كان مُرعبًا، فقد كان يجلب الموت لكل من يُقابله. أمّا الحياة فقد أتت لتنقذنا ولكي يُغلَق على الموت في السِّجن إلى الأبد، ولكي نهتف جميعًا قائلين: «أين شوكتك يا موت؟»، فبالمعموديّة انتُزِعَت شوكة الموت.

نهر الأردن:

نهر الأردن الذي اعتمد فيه المسيح مُكتظّ وممتلئ بالمعاني فيما يتعلّق بقصّة خلاصنا، ويعرض الأب توماس هوبكو *Fr. Thomas Hopko* هذا الأمر بحماس وشغف عندما يكتُب:

«يلعب نهر الأردن دورًا هامًا في الكتاب المقدّس، فمن قبل أن يكون هو النهر الذي اعتمد فيه المسيح، المسيا، كان يُظهر أنه النهر الذي يجعل حدودًا: «لأرض الميعاد». أن يَعْبُر شعب اللّه إسرائيل نهر الأردن معناه الدخول في تحقيق مواعيد اللّه، أي الدخول في الأرض التي: «تفيض لبنًا وعسلاً»، المكان الذي سيسكن فيه اللّه مع شعبه، والذي فيه يمدُّهم بالبركات اللانهائية لحضوره الإلهي.

أمّا بالنسبة للعهد الجديد، بزخمه بالأسرار الروحيّة لتحقيق العهد القديم فيه، فعبور نهر الأردن مَعناه الدخول إلى مملكة اللّه واختبار ملء الحياة التي للدهر الآتي. أمّا حقيقة أن موسى النبي لم يتبارك بعبوره نهر الأردن، فقد صار هذا رمزًا لحقيقة أنّ الناموس بنفسه لم يكن في استطاعته أن يُخلِّص إسرائيل أو أن يُخلّص العالم. كان ليشوع الذي معناه حرفيًا: «مُخلّص»، والذي هو الشكل العبري للكلمة اليونانية يسوع، أن يقود الشعب عن طريق نهر الأردن إلى أرض الموعد، وهكذا مُظهرًا بالرّمز العمل الخلاصي ليشوع الجديد، الذي هو يسوع المسيا المُخلِّص، في عهد النِّعمة.

كما أنّ نهر الأردن أيضًا انشقّ بعبور إيليا النبي وتلميذه أليشع (٢ مل ٢)، ومن الأردن أيضًا أُخذَ إيليا إلى السماء ليعود ثانية، كما يذكر التقليد، ليُعدَّ الطريق لمسيا الآتي (مت ١٧: ٩-١٣)، كما أنّ في الأردن أيضًا تَطَهَّر نعمان السُّرياني من برصه، رمزًا مُسبقًا لخلاص يسوع لكلّ شعبه وليس لشعب إسرائيل فقط (انظر لو ٤: ٢٧). أمّا في شفاء نعمان السُّرياني المُعجزي، فقد كان هناك سرّ الشفاء في نهر الأردن فقط وليس سواه...».

الماء المُقدّس، رمزٌ للطبيعة التي تحرّرت من الخطيّة:

إنّه يسوع «ماء الحياة» ذاك الذي بارك مياه الأرض عندما خاض في نهر الأردن ليعتمد. يكتب الأسقف كاليستوس وير *Bishop Kallistos Ware* بهذا الصّدد فيقول:

عندما نزل المسيح إلى المياه، ليس أنّه حملنا معه فقط إلى أسفل وطهّرنا، بل وأيضًا طهّر طبيعة المياه أيضًا، كما نقول في صلواتنا في هذه المناسبة: «المسيح ظهر في الأردن ليُطهّر المياه»، فمن ثمّ صار لعيد الثيئوفانيا (الظهور الإلهي) معنى كوني، يُنظر إليه من منظار شامل مُتكامل. نحن نلاحظ سقوط القوات الملائكيّة، ثم يتبعها سقوط الإنسان، فالسقوط إذن قد شمل الكون كله، فخليقة اللّه كلها قد انتابها الضلال والسقوط والتغيُّر والفساد، بل وصارت المياه بحسب التعبير الليتورجي: «**مأوى ومربض للتنانين**»، فالمسيح لم يأت ليُخلّص الإنسان فقط، بل ومن خلال الإنسان، كل الخليقة الماديّة، فالمسيح عندما دخل الماء، فبالإضافة إلى تأثير ما سيحدث عند ميلادنا الجديد في جرن المعموديّة، فهو أيضًا أثّر في تطهير المياه، وفي تجلّيها كأداة لنوال النّعمة والشِّفاء».

الكنيسة إذًا من خلال تقديسها وتبريكها للمياه، فهي تُحرِّر المياه أيضًا من قوّات الشرِّ المُظلمة الساكنة فيها، ويصبح الماء المُقدّس رمزًا للطبيعة التي تحرّرت من الخطيئة والتي تقدّست بالروح القُدُس لتبريكنا ولتبريك منازلنا.

الخليقة الأولى والثانية:

كما أنّ الروح نزل على المياه في البدء وأنتج الخليقة الأولى، هكذا أيضًا لحظة عماد المسيح في نهر الأردن، نزل الرّوح القُدُس في شكل حمامة ورفّ على المياه ليلد منها الخليقة الجديدة، حيث تجدّدت صورة الرجل والمرأة على صورة اللّه. ففي هذه الخليقة الجديدة الثانية، يولَد الشخص المُعمّد جديدًا في المياه التي تقدّست بصلاة الاستدعاء، والنتيجة هي خليقة جديدة وتجديدٌ للخلقة الأولى.

ماذا يقول آباء الكنيسة عن الماء؟

بخصوص تبريك الماء، يكتب القدِّيس كيرلس الأورشليمي *Cyril of Jerusalem*:

«إنّ الماء الطبيعي، عن طريق استدعاء الرُّوح القُدُس، روح الابن والآب يكتسب قوّة تقديسيّة خلاصيّة» *(XXXIII, 429A)*.

ويُضيف القدِّيس أمبروسيوس *St. Ambrose* على ذلك فيقول: «ها أنت ترى الماء، ولكن ليست لكلّ المياه قوّة الشفاء، ولكن التي تشفي هي تلك التي نالت نعمة المسيح. الماء هو المادّة، ولكن الرُّوح القُدُس هو الذي يعمل، الماء لا يشفي إن لم يكن الرُّوح القُدُس ينزل ويُقدّسه» *(De Sacre.1,15,otte 58-59)*.

الماء بَرَكَةٌ للمؤمنين:

يتبع الخدمات التي تتم على المياه في عيد الإبيفانيا في الكنيسة المُبكّرة، أن يقوم المؤمنون بأن يأخذوا قليلاً من هذه المياه إلى منازلهم، مُحتفظين بها ككنوز وذخيرة بسبب قوّتها التكريسيّة والشفائيّة، ويكتب القدِّيس يوحنا بخصوص هذه العادة فيقول: «في هذه المناسبة التي هي تذكار عماد المُخلّص، والتي فيها قدّس طبيعة المياه، فالناس عند مغادرتهم الكنيسة بعد منتصف الليل، اعتادوا أن يأخذوا معهم إلى منازلهم بعضًا من هذا الماء ويحتفظوا به. وقد لوحظ أن هذا الماء يبقى نقيًا ورائقًا لمدّة عامين أو ثلاثة» *(Hom. 24. De Papt. Christ)*.

وظلّت هذه العادة سائدة في الشرق، ليس تكريس الماء في الكنائس في عيد الإبيفانيا فقط، بل وتبريك مياه أحد الأنهار القريبة أيضًا أو أحد الينابيع تيمُّمًا بعماد السيِّد المسيح.

أمّا في فلسطين، فإنّه نهر الأردن هو الذي ينال هذا التّبريك في احتفال كهنوتي مهيب نابض بالحياة. يتجمّع الآلاف من الحجّاج على شواطئ النهر ليَخْطوا في المياه بعد تبريكها، حيث يغطسون ثلاث مرّات ليُجدِّدوا نذور وعهود معموديتهم.

قصّة واقعيّة:

كان إنسان مُسافرًا هو وأسرته مع الشعب إلى أورشليم يُدعى **إسحاق السّامري**. هذا كان يُبكّت الناس على تكبُّدهم المتاعب في الذهاب إلى أورشليم للحج والسجود لخشبة الصليب المُقدّسة. وكان مع الشعب قسٌ يُسمى أوخيدس. وفيما هم سائرون في الطريق عطشوا ولم يجدوا ماء، فأتوا إلى بئر فوجدوا ماءها منتنًا مرًا، فضاق صدر الشعب جدًا، وابتدأ **إسحاق السامري** يهزأ بهم ويقول: «**إن أنا شاهدتُ قوّة باسم الصليب لآمنتُ بالمسيح**»، فغار القس أوخيدس غيرة إلهيّة، وصلّى على الماء النتن ورشمه بعلامة الصليب فصار حلوًا وشرب منه كل الشعب ودوابهم. أمّا **إسحاق** فإنه لما تناول وعاءه ليشرب وجده منتنًا. فندم وبكى وأتى إلى القديس القس أوخيدس وخرّ عند قدميه وأعلن إيمانه بالسيّد المسيح، وشرب من الماء فوجده حلوًا. وقد صار في ماء هذه البئر قوّة أن يكون حلوًا للمؤمنين ومرًا لغير المؤمنين، كما ظهر فيه صليب ونور، وبُنيَ آنذاك كنيسة في ذلك المكان.

علينا أن نُشجّع أولادنا أن يحتفظوا بزجاجات الماء المُقدّس التي يُحضرونها معهم من الكنيسة في هذا اليوم، وأن يضعوها بجوار صورة شفيعهم الخاص في منازلهم، وأن يستخدموها عند اللزوم على مدار السنة، بأن يُباركوا أنفسهم بها، وأن يباركوا حجرتهم، أو ملابسهم الجديدة أو درّاجاتهم، أو عند شعورهم باحتياج خاص لحضور اللّه في المنزل، وبهذا يقوم هذا الماء المُقدّس في المنازل بدور مُشابه للأيقونات المُقدّسة وبقوّة الشفاء التي فيها، وبهذا يمكننا أن نجعل أولادنا يعيشون عيد الظهور الإلهي مُجدّدًا على مدار السنة.

عيد الإبيفانيا *Epiphany* أو الثيئوفانيا *Theophany*:

معنى كلمة: «إبيفانيا» اليونانيّة يُعبَّر عنها بـ: «عرض *Showing Forth* أو *Manifestation* إعلان» عن اللّه. أمّا كلمة «ثيئوفانيا» فلها تعبير أقوى يعني: « ظهور اللّه *APPEARANCE of God* ». إنّ معموديّة المسيح في نهر الأردن تُعلن إعلان اللّه المُثلّث الأقانيم للعالم، حيث أعلن اللّه عن ذاته أنّه: «آب وابن وروح قُدُس». في العماد أُظهر الثالوث واضحًا، فالآب يشهد من الأعالي لبنوّة الابن بقوله: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت»، كما أنّ الرُّوح القُدُس يظهر بهيئة حمامة نازلة من عند الآب ومُستقرّة على الابن. ومن ثمّ، ففي عيد الظهور الإلهي يُعلن اللّه عن ذاته في كماله: «الآب في محبته، والابن في فدائه، والروح القدس في حياته داخلنا».

أما طروباريّة العيد فتظهر عمل الثالوث القدُّوس:

«باعتمادك يا ربّ في نهر الأردن، ظهرت السجدة للثالوث، فإنّ صوت الآب تقدّم لكَ بالشهادة مسميّاً إيّاكَ ابناً محبوباً، والرّوح بهيئة حمامة يؤيِّدُ حقيقة الكلمة، فيا من ظهرت وأنرتَ العالم، أيها المسيح الإله المجد لك».

بعض الصلوات لخدمة عيد الظهور الإلهي:

صوت الرب على المياه يهتف قائلاً: هلُّموا خذوا كلُّكم روح الحكمة روح الفهم روح مخافة اللّه بظهور المسيح.

اليوم تُقَدَّس طبيعة المياه. وينشقُّ الاردنُّ. وتمسك مياههُ عن الجري. لمعاينته السيّد يغتسل فيه.

لقد اتيت تسعى الى النهر كإنسان. أيها المسيح الملك الصالح المحبُّ البَشر. لكي تقتبل المعمودية كعبدٍ من يَدي السابق من اجل خطايانا.

توجد ثلاث نبوات من سفر إشعياء النبي تختص بزمن المسيّا، وبعضها يُتلى في خدمات طقس تبريك المياه:

«افرحي ايتها البريَّة العطشَى. وليبتهج القفر وليزهر السوسن. فتزهر براري الاردنّ. وتفرح بغابها وتبتهج ...»(إش ٣٥:١-١٠).

«أيها العطاش هلمّوا إلى الماء، والذين لا فضّة لهم هلمّوا ابتاعوا. وكلوا واشربوا بغير فضّةٍ ولا ثمنٍ خمراً ودَسَماً..» (إش ٥٥:١-٣).

«استقوا ماءً من ينابيع الخلاص بابتهاج. ويقول في ذلك اليوم سبّحوا الربَّ ادعوا باسمه. اخبروا في الأمم بأعماله المجيدة. .. سبّحوا الربّ فإنّه قد صنعَ عظائم. اخبروا بذلك في الأرض كلّها. ابتهجوا وافرحوا يا ساكني صهيون. فانَّ قدُّوس اسرائيل قد تعالى في وسطها» (إش ١٢:٣-٦).

ومن أفشين القديس صوفرونيوس:

اليوم حلَّت نعمة الروح القدس بهيئَة حمامة على المياه.
اليوم أشرقت الشمس التي لا تغرب فيستنيَر العالمَ بنور الربّ.
اليوم يستضيء القمر مع العالم متلألئاً بالأشعَّة البهيّة.
اليوم تزيّن الكواكب الثواقب النيّرة المسكونة ببهاء إشراقها.
اليوم يندّي الغمام من السماء البَشر بطلّ البرّ.
اليوم تتحوّل مياه الاردنّ بحضور الربّ اشفيةً.
اليوم ترتوي الخليقة كلّها بالمجاري ارتواءً سرّيّاً.
اليوم تنمحي زلّات البشر بمياه الأردنّ.
اليوم فُتح الفردوس للبشر واشرقت لنا شمس البرّ.
اليوم نجونا من الظلمة واستنرنا بنور معرفة اللّه.
اليوم يتلاشى قتام ديجور العالَم بظهور إلهنا.
اليوم تتلألأ الخليقة كلُّها مستضيئةً من العلاء.
اليوم بَطُلَتْ الضلالة وجعل لنا الربُّ بوروده سَبيلاً إلى الخلاص.
اليوم يسعَى السيّد إلى المعمودية لكي يُصعدَ الناس إلى العلاء.
اليوم ساهمت الارض والبحر العالم في الفرحَ وامتلأ العالم سروراً.

يقول الكاهن:«فاحضر اذَنْ انتَ الآن ايضاً ايها الملك المحبُّ البَشر بحلول روحك القدُّوس. وَقَدِّس هذا الماء» (تقال ثلاث مرّات). إنّ صلوات هذا الطقس المُبارَك لتقديس الماء يستدعي الروحَ القُدُس بتكرار لينزل على الماء، ليُقدِّسه ويُطهِّره ويمنحه نعمة الشِّفاء.

يوضِّح التوسُّل الأخير أنّ الماء المُبارَك المُصلّى عليه يهب نعمة وقوّة الشفاء للذين يأخذون منه بإيمان، لأولئك الذين يأتون طالبين شفاء للجسد والروح، ويكونون مُستعدِّين أن يتبعوا المسيح وأتباعه في العالم، أمّا الذين يأتون بدون إيمان وبدون إذعان لوصايا المسيح، فمياه العالم كله المقدّسة لن تفيدهم شيئًا.

تجديد المعموديّة:

نحن مدعوّون في عيد الظهور الإلهي أن نُؤكِّد ثانية معموديّتنا الخاصة، لأنّه توجد علاقة حميمة مُحكمَة بين عماد يسوع في عيد الظهور الإلهي وبين عمادنا، وبهذا الخصوص يكتب الأسقف كاليستوس وير فيقول: «في معموديّة المسيح على يدي يوحنا المعمدان، تمّ مسبقًا تجديد عمادنا سَلَفًا. إنّ الاحتفال المُتكرِّر بالإفخارستيّا هو اشتراك في ذبيحة المسيح الواحدة الوحيدة الفريدة التي قدّمها في العشاء الأخير، وبالمثل تمامًا تكون معموديّتنا الشخصيّة شركة في معموديّة المسيح. إنّها الواسطة التي بها: «نعمة الأردن» تمتد، حتى يمكن لكلّ واحد أن ينال نصيبه منها شخصيًا، وكدليل على أن معموديّة المسيح لها علاقة حميمة بمعموديّتنا، فعلينا أن نلاحظ أنّ الصلوات التي تُتلى على سرِّ تبريك المياه في عيد الثيوفانيا، هي مطابقة بالأكثر على صلوات البَرَكَة التي تُقال على جرن المعموديّة عند العماد».

الحمامة ـ كرمز ـ عند آباء الكنيسة

يكتب فلاديمير لوسكي *Vladimir Lossky* بخصوص رمز الحمامة عند عماد يسوع فيقول: «يشرح آباء الكنيسة القديسون ظهور الروح القُدُس بشكل حمامة عند عماد السيِّد المسيح بالمقارنة بالطوفان، فكما أنّ العالم تطهّر من شروره بمياه الطوفان وأحضرت الحمامة غصن زيتون في فلك نوح، مُبشِّرة بنهاية الطوفان ومن ثمّ عاد السلام إلى العالم، هكذا أيضًا بالمثل نزل الروح القُدُس بشكل حمامة ليُبشِّر بغفران الخطايا واستعلان رحمة اللّه على العالم. ويقول القديس يوحنا الدمشقي: «يوجد هنا غصن زيتون، لأنّه توجد هنا رحمة اللّه».

ويتكلّم القديس يوحنا الذهبي الفم عن الحمامة فيقول: «لذلك ظهرت الحمامة أيضًا، لا حاملة غصن زيتون، ولكن لتُشير لنا على مُخلِّصنا الذي ينقذنا من كل الشرور، وموعزًا لنا بالرجاء الثمين، لأنها لم تُخلّص من الطوفان ثمانية أفراد فقط، ولكنّها توجّه العالم كله إلى السماء عند ظهورها؛ وبدلاً من غصن سلام من زيتون ولكن توصِّل نعمة التبنِّي لكل ذريّة البشريّة على العموم».

عيد الميلاد وعيد الغطاس في الكنيسة الأولى

إلى نهاية القرن الرابع الميلادي تقريبًا، كانت أغلب الكنائس تُعيِّد عيد ميلاد المسيح ومعموديَّته في نفس اليوم، وكان العيد الواحد يُسمى عيد الإبيفانيا، وكان التّعليل العقلي وراء هذا هو أن كلا العيدين يُعلنان ألوهيّة المسيح للعالم. ميلاد الابن يُبيِّن أن الكلمة صار جسدًا، وبينما العماد يُظهر الثالوث القُدُّوس.

حدث أيّام القدِّيس يوحنا الذهبي الفم أن انفصلت المناسبتان من أجل تقويّة مفهوم الوحدة في كلا العيدين. ففي واحدة من عظات القدّيس يوحنا الذهبي الفم التي علّم بها في مساء عيد الميلاد عام ٣٨٦م يذكر أنّه منذ سنوات قليلة فاتت، بل وفي حياته أيضًا، كان يُعيّد بالعيدين معًا، ويذكر القديس الذهبي الفم أن من ضمن أسباب فصل العيدين حقيقة أن المسيح أثناء معموديّته، أُعلن يسوع لكلّ إنسان، بينما في ميلاده ظهر في صورة مخفيّة. يكتب القديس ويقول: «ليس يوم ميلاد المسيح هو الذي يجب أن يُسمى الإبيفانيا، ولكن هو يوم عماده الذي يجب أن يُسمّى هكذا. لم يُعرَف المسيح عند ميلاده للجميع، ولكن عند عماده صار معروفًا من الجميع، فقبل عماده لم يكن معروفًا للشعب».(عظة ١٥ *Orant. XV*)

ومنذ ذلك الوقت، صار يُعيّد لعيد الميلاد يوم ٢٥ كانون أول، ولعيد الغطاس يوم ٦ كانون الثاني. لا توجد إلى الآن إلاّ الكنيسة الأرمنية في الشرق التي لا تزال تُعيِّد للعيدين معًا في يوم ٦ كانون الثاني.(**الحساب هو حسب التقويم الشرقي**).

مختارات للقدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ

يليق بنا أن نبدي رحمةً لكلِّ الفقراء ولكلّ الذين يعانون لأيّ سببٍ كان، وذلك حسب وصيّة المحبّة، التي تأمرنا أن نفرح معَ الفرحين ونبكي مع الباكين.

لن تفوق بعطائك على عطاء اللّه، حتى ولو وهبتَ كلّ ممتلكاتك وأضفت عليها ذاتك نفسها.

إنّ الفقير قد وضع رجاءه عليك كما على اللّه، فإذا تجاهلته بغباوة فسأجعلك تخجل من نفسك بهذه الكلمات: ها هي الفرصة أمامك لتتمرّن على الإحسان، فكيف تسمح للشيطان أن يُبعِدك عن إمكانية الإحسان ؟

بدء العام الجديد للقديس يوحنا الذهبي الفم

كثيراً ما يرافق لقاء العام الجديد عند المسيحيين **كُفْرٌ وإلحاد وإفراط وعدم اعتدال**. أما الكُفْر والإلحاد فلأن الكثيرين من المسيحيين يتفاءلون ظانين أنه إذا مضى عليهم اليوم الأول من السنة وهم مسرورون، فالعام كله سيمضي كذلك. وأما الإفراط وعدم الإعتدال، فلأن الجميع رجالاً ونساءً يحتسون الخمر حتى الصباح. فهذا السلوك لا يتفق مع حكمة الروح المسيحي اذا اتبعناه، أو سمحنا للآخرين أن يتبعوه. ألم نسمع قول القديس بولس الرسول: «فإنكم تحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين فأنا أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً» (غلاطية ٤:١٠-١١). ومن جهة أخرى، ليس من المعقول أن يُبنى على يوم واحد صُرفَ بسرور، الشيء نفسه طوال العام كله. إذن لا يجوز لنا مراقَبة الأيام وأن نحب بعضاً منها وننفر من غيرها. بل علينا أن نعلم جيداً أنه لا شرَّ إلا من **الخطيئة** ولا خير إلا من **أعمال البر**.

السرور لا يكون بالسُّكْر بل بالصلوات الروحية، وليس بالخمر والملاهي بل بالوعظ والإرشاد. فالسُّكْر يُحْدث الهياج، والإرشاد يهدئ الإضطراب. الأول يظلم العقل والثاني ينير الظلام. الأول يسبب أحزاناً لم تكن في البال والثاني يبددها مهما كانت. على المسيحي ألاّ يحتفل بشهور محدّدة، ولا يأول يوم من الشهر، ولا بأيام الآحاد فقط، بل عليه أن يصرف أيام حياته كافةً في احتفال دائم.

ما هي الحفلات التي تناسب المسيحي؟ لنسمع ما علمه رسول المسيح:«فلنعيّد إذاً لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق»(١كور ٥:٨). إذاً إن كان ضميرك نقياً فاحتفالك يدوم لأنك تتعزى بالنعم الآتية. وإن كنت مثقلاً بالخطايا الكثيرة، فالحفلات لا تكون لك أحسن من المآتم، ولا نفع لك من يومك السعيد، إن كانت نفسك معذبة بتأنيب ضميرك.

فإن كنت تريد النفع لنفسك من اليوم الأول من الشهر فاعمل هكذا. وإذا بلغت اليوم الأخير من السنة فاشكر الإله السماوي الذي أوصلك إلى نهاية العام.

اتضع بقلبك، واعدد أيام حياتك، وقل لنفسك: الأيام تمر وتذهب، والأعوام سوف تنتهي، وقد مضى القسم الأكبر من حياتي فما الذي فعلته من أعمال البر؟ كيف أترك هذه الحياة دون أن أتزود شيئاً من أعمال الحق؟ ينبغي لنا أن نفكر بحكمة في أول الشهر. يجب أن نذكر الكلمات السابقة عن تداول الأعوام. لنفكر في اليوم الآتي حتى لا يقال عنا كما قال نبي اللّه عن اليهود: «ففنيت أيامهم بالباطل وسنوهم بسرعة» (مز ٧٧:٣٣).

إن مراقبة الأيام عمل مغاير لروح الحكمة المسيحية وتضليل وثني. إنك قُبلت مع الأجناد السماوية وأصبحت مع جماعة الملائكة حيث لا يبدّل نور النهار بظلام الليل بل هناك نهار دائم لا يزول، ليس لك هناك ما يتفق مع هذه الدنيا، كشروق الشمس وغروبها، وتبدل الأيام لكن إذا صرفت حياتك بالبر والصلاح فالليل يكون عندك نهاراً، وعكس ذلك يكون الذين يصرفون حياتهم بالكفر وعدم الاعتدال، فيتحوّل نهارهم إل ليلٍ داجٍ لأن نفوسهم أظلمت.

فلنتجنّب الأعمال التي لا تأتي بنفع، لأن الرسول المملوء حكمة يأمرنا أن نعمل حسب قول الرب: «إن أكلتم أو شربتم أو عملتم شيئاً فاعملوا كل شيء لمجد اللّه» (١كور ١٠:٣١). لنهتم بالأعمال لا بالأقوال. ولنمجد بلا فتور المسيح الرب الذي يليق به مع الآب الأزلي والروح الكلي قدسه كل مجد وإكرام وسجود، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.آمين

اعتراف مختصر أمام الكاهن المعرف ، من الاعتراف الكامل للقديس ديمتري روستوف

أَعْتَرِفُ أمام الرب إلهي وأمَامَكَ، ايّها الأبُ الموقّر، بكل خطَاياي التي لا تُحصى، التي فعلتها إلى هذا اليوم وإلى هذه الساعة، بالفعل، بالقول وبالفكر. أنا أخطأ يوميّاً وفي كل ساعة بعقوقي للّه على بركاته التي لا تُحصى وعنايته الخيّرة بي أنا الخاطئ.

لقد أخطأت: بالكلام البطال، إدانة الآخرين، العناد المتعمّد، العُجب، قساوة القلب، الحسد، الغضب، الافتراء، عدم الانتباه، إهمال خلاصي، الطيش، اللامبالاة، قلة الاحترام، حدة الطبع، فقدان الرجاء، رد الشر بالشر، المرارة، عدم الطاعة، التأفف، تبرير الذات، معارضة الآخرين، التشبث بالرأي، لوم الآخرين، النميمة، الكذب، العبث، إغواء الآخرين، محبة النفس، الرغبة، الأكل والشرب حتى التخمة، التفاهة، الكسل وعدم التركيز في الصلاة في الكنيسة والبيت، التغيب عن الخدم الإلهية بسبب الكسل وقلة الاهتمام، التمتع بالأفكار النجسة، النظرات والأعمال البذيئة، اشتهاء الممتلكات الزائدة وامتلاكها، الاستخفاف بالحاجات المادية والروحية للآخرين ولنفسي، عدم الاهتمام بالأرض وببيئتها. لقد أخطأت بالفعل، والقول، والفكر؛ بالنظر والسماع والشمّ والذوق واللمس وكل ما تبقى من حواسي العقلية والجسدية، وبالمشورة والسيطرة والقبول والاستفزاز والمداهنة والتقاسم والسكوت والدفاع.

(هنا على المعترف أن يذكر بشكل خاص كل خطيئة أخرى تثقل نفسه) ؛ أنا أيضاً أتوب وأطلب مغفرة كل الخطايا التي لم أعترف بها لكثرتها ولكثرة نسياني. أنا أتعهد للمسيح بتغيير قلبي وفكري وتصرفي وأتوسل نعمته.

سامحني وحلّني أيها الأب الموقّر، وباركني لأشترك في أسرار المسيح المقدسة والمحيية لغفران الخطايا ولحياةٍ أبدية.

العناية الإلهية
للقديس يوحنا الذهبي الفم

التجارب ليس فقط لن تُعثر مَن كانوا مهيّأين حسناً، بل هي أيضاً مفيدة لهم، حتى لو كانوا من اليونانيين (أي من الوثنيين وغير المؤمنين)

الفصل الثاني العشرون

التجارب ليس فقط لن تُعثر مَن كانوا مهيّأين حسناً، بل هي أيضاً مفيدة لهم، حتى لو كانوا من اليونانيين (أي من الوثنيين وغير المؤمنين)

١ ـ في الواقع إن الذين لم يقبلوا بعد رسالة المسيحيّة (أي يصيروا مسيحيين) يَجْنُونَ من هذه التجارب منفعة عظيمة جداً لو كانوا يقظين. لأنّهم إذ يرون أناساً يحتملون المظالم ويهانون ويُحبَسون ويُشَهَّر بهم، ويصيرون ضحايا للفخاخ (المنصوبة لهم)، تُمزِّق أجسادهم ويَتمّ حرقهم وإغراقهم، ولا ينهاروا أمام أيِّ خطَر، تَفكّر أي إعجاب يبدونه كأعجابهم ـ سابقاً والآن ـ أمام هؤلاء المصارعون غير العاديين. وهكذا لا تكون الأحداث سبب عثرة لمن هم يَقظون، بل فرصة أكثر أهمية للتعليم.

٢ ـ لهذا السبب سمع بولس هذه الكلمات: «قوّتي في الضعف تكمل» (٢كو١٢:٩)، ويمكن إثبات هذا الأمر في العهد القديم والجديد. تفكّر فيما اختبره نبوخذنصّر عندما انهزَم في محضر جيشه من ثلاثة فتية عبيد مَسبيين، مُقَيّدين ومطروحين في النّار، وكيف أنه لم يستطع التغلّب على هؤلاء الثلاثة الخاضعين له في العبودية، والواقعين تحت رحمته محرومين من وطنهم ومن الحرية ومن كرامة العزّ والغنى، مُبعَدين من أقاربهم. لو لم يُقام هذا الحريق الهائل ما كانتَ هناك مكافأة وما كان هناك إكليل متلألىء.

٣ ـ تفكر فيما كان ينبغي لهيرودس أن يختبره وهو منهزم من الضلال من إنسان مُقَيّد بالسلاسل، إذ يرى أن قيوده لم تقلّل من شجاعته الجسورة، بل إنه فَضَّلَ أن يُذبَح على أن يفقد هذه الحريّة العظيمة للكلمة.

٤ ـ تفكر أنه بين الناس الذين عاشوا آنذاك والذين جاءوا بعدهم، مَن الذي يرى ويسمع هذا ولا يجني منه منفعة عظيمة، حتى لو كان فاتر الهمّة تماماً، إنما بشرط أن يكون له بعض الذكاء ؟ لا تحدّثني عن هؤلاء الجهّال التعساء، عن الذين هم أغبياء هائمون في الجسد وأكثر خفة من أوراق الشجر. هؤلاء يسقطون ليس تحت ضربات التجارب التي تكلّمتُ عنها وحسب، بل أمام أي عقبة أيّاً كانت، يسقطون مثل الشعب اليهودي الذي أكل المَنْ والخبز وكان دائماً عسير إرضائه، سواء كان في مصرَ أو خارج مصرَ، سواء كان موسى غائباً أو حاضراً.

٥ ـ لكن قَدِّم لي أناساً يقظين منتبهين، وتفكر أيه منفعة سيجنونها بدون شكّ من هذه الأمثلة، في رؤيتهم لنفس غير مقهورة ، حكمة لا تدع نفسها تخضع، لسان ممتلىء شجاعة جسورة، إنسان يسكن الصحراء وينتصر على ملك، مُقَيّد ولم يستسلم، رأسه مقطوعة ولم يصمت ! ولا تتوقف عند هذا الأمر، بل إفحص ما حدث بعد هذا.

٦ ـ قَطع هيرودس رأس يوحنا المعمدان.

مَن هو الذي يعلن الكل طوباويّته، مَن هو الذي يثير الغيرة (للإقتداء به) ؟ مَن هو الذي يُعلَن اسمه (في كل العالم) ؟ مَن هو الذي كُلّل ؟ مَن هو الذي تُقام له التمجيدات ؟ مَن هو الذي يُمدَح ؟ مَن هو الذي يثير الإعجاب ؟ مَن هو الذي أيضاً يُفحم الخطأة (إلى) الآن ؟

٧ ـ ألا يَصرخ المعمدان في كل كنيسة قائلاً: «لا يحل لكَ أن تأخذ زوجة فيلبس أخيك» بينما الآخر يُفضَح حتى بعد موته، بسبب **زناه وظلمه ووقاحته** ؟

بعد كُلِّ ما قلناه، أنظر ما هي قوّة مَن قُيِّد، وما هو ضعف الطاغي ؟

٨ ـ هيرودس لم تكن لديه القوّة الكافية ليضع لجاماً للسان واحد. إنما بقطعه فتح بدلاً منه، وبفضله، آلاف الأفواه. ويوحنا على العكس أرعبه في الحال بعد القَتل، والخوف قَلَبَ ضمير القاتل إلى درجة أنه اعتقد آنذاك أن يوحنا قام من الأموات ويُجري معجزات. والآن، ومنذ ذلك الحين، وبدون توقّف، وفي كل أنحاء الأرض، يفحمه بنفسه وبواسطة الآخرين.

٩ ـ في الواقع إن كل مَن يقرأ الإنجيل يقول: «لا يحل لك أن تأخذ زوجة فيلبس أخيك» (انظر متى ١٤:٤). وحتى بدون قراءة الإنجيل، إذ في المحادثات والإجتماعات التي تتم في البيوت وفي السوق أو في كل موضع، حتى إن ذهبتَ إلى بلاد الفُرس أو الهند أو في الغرب أو إلى أي موضع على الأرض تُشرق عليه الشمس،

حتى إلى أقصى الأرض، ستسمع هذا الصوت وسترى هذا البّار يتحدّث إلى الآن بصوت عالي، يتكلّم ويُفحم شرّ الطاغي ولم يسكت ، وعلى الرغم من مضيّ الزمن فإن إتهامه لم يفقد قوّته.

١٠ ـ أي ضرر سببته هذه النهاية لهذا البار ؟ ماذا استطاع أن يصنعه له هذا الموت العنيف ؟ ماذا استطاعت أن تصنعه له القيود، وماذا فعل به السجن ؟ مَن هم الذين لم يضعهم على الطريق المستقيم ـ بشرط أن يكونوا أذكياء ـ بما قاله وبما تألّم به وبما يعلنه الآن أيضاً والذي هو شبيهٌ لما قاله عندما كان حياً ؟ لا تقل لي: ماذا استفاد هو من الموت ؟ لأنه لم يكن موتاً بل إكليلاً. ما حدث له لم يكن نهاية بل بداية لحياة أكثر عظمة. تعلّم أن تُناضل بطريقة روحيّة، وليس فقط لا شيء يستطيع أن يؤذيك وحسبَ، بل أيضاً ستجني أعظم المكافآت.

١١ ـ ماذا كان من المرأة المصريّة ؟ ألم تتهم وتشتكي وتقيّد يوسف البار وتلقيه في السجن ؟ ألم تعلّق على رأسه أسوأ الأخطار ؟ ألم تخسف به بقدر ما كان في استطاعتها ؟ ألم تشمله بسمعة رديئة ؟ فبماذا تضرّر في تلك اللحظة أو الآن ؟ وكما أنه عندما تغطي الفحم المتّقد بقش يبدو في البداية أن اختفى، لكنه في الحال يلتهم ما قد وُضعَ فوقه، وبفضل هذا القش نفسه يصعد لهيبه عالياً، هكذا الفضيلة، حتى لو تثقّلت بالإساءات، فبفضل العقبات نفسها، تزدهر بالأكثر بعد ذلك وترتفع إلى السماء.

١٢ ـ من هو أكثر سعادة من هذا الشاب (يوسف) وذلك بفضل التشهير الذي حَلَّ به، والفخ الذي نُصبَ له، وليس بفَضل عَرش مصرَ ولا بفَضل المملكة الأرضيّة التي كانت له ؟ لأن المَجد والإعتبار والإكليل محفوظين في كل موضع للآلام. وغير هذا ألا يُحتَفل به في كل الأرض ؟ ثم إن طول الزمان الذي مضى لم يجعل ذكراه تذبل، بل أن صور فضيلته وحكمته موجودة على الأرض بأكثر لمعان ودوام مما لتماثيل الملوك عند الرومان وفي البلاد البربرية، وفي ضمير ولسان كل أحد.

١٣ ـ نحن نراه وهو سجين مجبراً على الطاعة، يقوم بواجبه من جهة هذه المرأة التعيسة الخليعة، صانعاً كل ما في وسعه من أجل إنقاذها وإجبارها على الخجل وإطفاء الأتون، مجتهداً في انتشالها من العاصفة المرعبة، واقتيادها إلى الميناء (بسلام). لكن لما ازدادت العاصفة وغرقت السفينة، وإذ هي قد اكتأبت (من صدّه لها) نراه يفلت من الأمواج (الهائجة)، تاركاً ثيابه بين يدي تلك المرأة، وهو أكثر بهاء في عُرْيه عن أناس يلبسون الأرجوان، ومثل سنبلة أو نَصب تذكاري أمام نُصب حكمته.

١٤ ـ ونحن لم نفقد تذكره على مدى الأحداث الواقعية، بل نراه من جديد سجيناً مُقيّداً عائشاً في القذارة ومتضجراً هناك على مدى وقت طويل وبسبب هذا على الأخص نحن نبدي إعجابنا به، ونقول بطوباويته ونُصاب بدهشة منه ونمدحه. إن كان أحدٌ حكيماً، في تأمله في يوسف يصير أكثر حكمة، وإن كان أحدٌ شهواته هائجة، فإنه يوجّها بواسطة هذه القصة نحو الحكمة، وهذه القصة تجعل حاله أفضل.

١٥ ـ وفي قراءتكم لكل هذا لا تضطربوا، بل انتفعوا بما حدث. وليت صَبر الذين يجاهدون يكون معلّماً لكم للصمود. وفي رؤيتكم لحياة الناس النبلاء وذوي النفوس السامية ـ منسوجة بمثل هذه الأتعاب ـ فلا تخوروا من التجارب الحادثة لكل واحد وللمجتمع المسيحي بصفة عامة، إذ أن الأمر هو هكذا بالنسبة للكنيسة منذ البدء، إذ أنها تغتذي بالمعاناة وبها تسمو وتتمجّد. لا تكونوا مندهشين، فلم يحدث شيء أبداً غير عادي.

١٦ ـ وكما أنه في الحياة العامة فإن اللصوص والقراصنة وثاقبي الحوائط يسببون دائماً انزعاجاً ومضايقة لمن يملك الذهب والأحجار الكريمة، وليس لمن لديه قش وتبن ورمل، هكذا عندما يرى الشيطان غنَى متراكم لدى النفس، وتَقوَى فائضة لا يمكن إنكارها، ففيها ينفّذ مكائده ويتقدّم لمحاربتها. لكن لو كان ضحايا هذه الهجمات يقظين، ليس لن ينهزموا أبداً وحسب، بل وسيجمعون كنزاً عظيماً جداً من الفضائل، وهذا هو ما يحدث بالفعل.

الإيمان والأعمال

عند القديس الرسول يعقوب أخي الرب

أول أسقف لمدينة أورشليم

ما المنفعة يا إخوتي إن قالَ أحدٌ إنَّ لهُ إيماناً ولكن ليس له أعمالٌ، هل يقدرُ الإيمان أن يخلّصهُ ؟ إن كانَ أخٌ وأختٌ عُريانين ومُعتازَين للقوت اليومي. فقالَ لهما أحدُكُم : « امضيا بسلام، إستدفئا واشبعا»، ولكن لم تُعطوهُما حاجات الجسد، فما المنفعة ؟

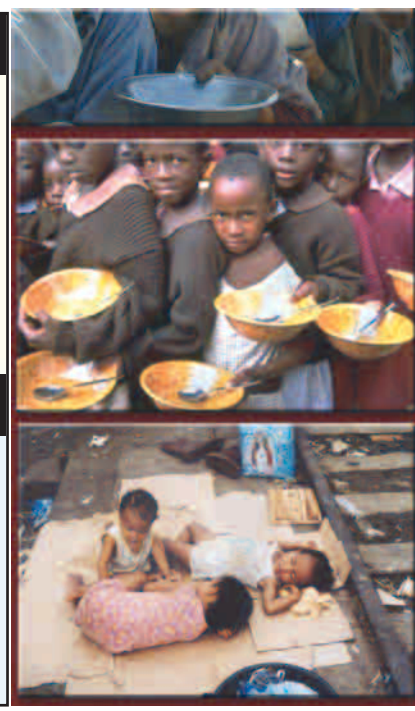

في الطمع والحرص

وَذي حرصٍ تَراهُ يَلُـمُّ وَفرا
لِوارثـه وَيَدْفَعُ عَنْ حِـمـاهُ
كَكَلبِ الصَّيدِ يُمسِكُ وَهْوَ طاوٍ
فَريسَـتَهُ لِيَـأكُـلَهـا سِـواهُ

طاوٍ : ضامر البطن من الجوع

القناعة ، والكفاية

هِيَ القناعَةُ فَالزَمها تَعِش مَلِكاً
لَوْ لَم يَكُن مِنْها إلاّ راحَةُ البَدَنِ
وَانظُر لِمَنْ مَلَكَ الدُّنيا بِأجمَعِها
هَلْ رَاحَ مِنها بِغَيْرِ القُطْنِ والكَفَنِ

١٩ ـ كثرة الشهادات لصالح المسيح

أحبائي، كثيرةٌ هي الشهادات الحقيقية لصالح المسيح: فمن السماء شهد الآب لإبنه (متى ٣:١٧)، وشهد الروح القدس بحلوله في صورة جسمية كأنه حمامة (لو٣:٢٢)؛ وشهد الملاك جبرائيل عندما بشَّر مريم العذراء (لو١:٢٧-٣٨) ؛ وشهدت العذراء الأم ؛ وشهد موضع المذود المقدس (لو٢:٧)؛ وشهدت مصر التي تلقّت الرب في الجسد، عندما كان طفلاً (متى ٢:١٤)؛ وشهد سمعان الشيخ عندما حمله على ذراعيه، وقال: «ربّ، أطلق الآن عبدك بسلام. وفاقاً لقولك. فقد رأت عيناي ما أعددته من خلاص للشعوب كلها» (لو٢:٢٨-٣١). وشهدت له حنّة النبيّة، الأرملة التقيّة الناسكة ؛ وشهد يوحنا المعمدان، أعظم الأنبياء، ورأسُ العهد الجديد، الذي يصل نوعاً ما في شخصه العهدَين، القديم والجديد. وشهد له ، بين الأنهار، نهرُ الأردن، وبين البحار ، بحيرة طبريا. وشهد له العميُ والعرج، والأموات الذين قاموا (من القبور)، والشياطين الذين قالوا: «ما لنا ولك يا يسوع الناصري ؟ أأتيت لتهلكنا ! لقد عرفناك مَن أنت: إنك قدوس اللّه» (مر١:٢٤). وشهدت له الرياح التي انتُهرَت فسكنت. والخبزات الخمس التي تكاثرت فأشبعت خمسة آلاف ، وخشبة الصليب الكريمة التي تُرى عندنا حتى يومنا هذا، وتملأ الأرض بما اقتطع منها بإيمان من ذخائر ، ونخيلُ الوادي الذي زَوَّدَ بسعفه الأطفال الذين هتفوا عندئذ للمسيح. وبستان جتسماني الذي لا يزال يُرشد الذين يفهمون من اليهود. وهذه الجلجلة المقدّسة التي تُشرَف على المدينة. والقبر المقدس، والحجر الذي دُحرج. والشمس التي تُضيء اليوم. وانكسفت في يوم الآلام الخلاصية، والظلمة التي حدثت عندئذ، من الساعة السادسة حتى التاسعة، على الأرض كلّها. والنور الذي أضاء من الساعة التاسعة حتى الغروب. وجبل الزيتون الذي صعد منه الى أبيه، والأبواب الأبدية التي دخل منها الرب، وقال عنها صاحب المزامير: «إرفعوا أبوابكم، أيها الرؤساء، وارتفعن أيتها الأبواب الأبدية ليدخل ملك المجد» (مز٢٣:٧). واعداء ذلك الزمان، وأحدهم الطوباوي بولس ، الذي كان عدواً للمسيح بعض الوقت، ثم خَدَمَهُ زمناً طويلاً. والرسل الإثنا عشر الذين بَشّروا بالحقّ، لا بالقول فقط، بل بالعذاب والموت، ويشهد ظلّ بطرس الذي كان بمجرّد وقوعه على المرضى يشفيهم باسم يسوع، والمناديل والمآزر التي كانت قد لمست جسم بولس، فتشفي المرضى بقوّة المسيح (أعمال ١٩:١٢). والفُرس والغوط يشهدون وكل الذين أتوا من الوثنية وماتوا في سبيل الذي لم يروه بأعين الجسد.

٢٠ ـ احترام اسم «مسيحي»

هل يمكن بعد كل هذه الشهادات العظيمة المختلفة العديدة أن نرفض الإيمان بشهادة المسيح ؟ إن كان لا يزال هناك أحد لا يؤمن، فليؤمن الآن. وإن كان مؤمناً ، فليزدد إيماناً بربنا يسوع المسيح، وليعترف بذلك الذي يتلقى اسمه. أنت تُدعَى مسيحياً ، فاحفظ جيّداً هذا الإسم. ولا تكن سبباً في التجديف على ربنا يسوع المسيح، ابن اللّه. بل لتضيء أعمالك الصالحة بين الناس لكيما ، إذ رأوها ، يمجّدوا في المسيح ربنا الآب في السماوات. له المجد الآن والى أبد الدهور. آمين.

من تفسير المزمور الثاني والعشرين للقديس أثناسيوس الكبير

القديس أثناسيوس الكبير

هذا المزمور ينشده النبي بلسان الأمم الذين يبتهجون لأن الرب يرعاهم. وهم في الواقع يبسطون العيد السخي الذي يهيئه لهم ذاك الذي يرعاهم.

الرب يرعاني.

الذين يرعاهم الرب يفتخرون به. . .

في مراعٍ خضر هناك أسكنني. لقد أسكنني في جمال أرض خضراء صيفية، وهي مروج الروح. . .

على مياه الراحة ربّاني. مياه الراحة هي مياه المعمودية المقدسة. وهي التي تزيل ثقل الخطيئة. . .

ردّ نفسي. لقد ردّ نفسي من أسر الشيطان، وبهذا قادني إلى وصاياه من الموت إلى الحياة. هنا الوصايا هي تعاليم الإنجيل. . .

عصاك وعكازك هما يعزياني. العصا والعكاز هما المسيح نفسه. «يرسل الرب قضيب عزك من صهيون» (مز ١٠٩:٢) و «قضيب العز عصا الجلال» (إرميا٤٨:١٧). فالقوة التي تُصلِح هي عصا ، والمعونة التي تأتي بالتعزية هي عكّاز.

مسحت بالدهن رأسي. هذا مسح سريّ.

كأسك تسكرني كالصرف. أيضاً هذا فرح سريّ.

رحمتك تتبعني جميع أيام حياتي. فإن الذين اشتركوا في كل الأمور التي سبق ذكرها سوف يكونون دوماً في رحمة اللّه، وسوف يسكنون فعلاً في بيته.

الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور (٣١)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

إنّ المسيح كلمة اللّه المتجسد والمتأنّس بقوّة الروح القدس، أتى إلينا على الأرض ليرفعنا إلى المكان الخاص بنا. إنه تنازل وتعطَّف وأخلَى ذاته وأخذ لنفسه شكل العبد وافتقر وهو الغَنيّ. مهما كانت الصورة أو الشكل الذي يقدِّمه عنه العهد الجديد، إنّما هو مجرَّد محاولة لوصف محبَّة اللّه التي انحنَت ورفعتنا إليه ليكون له شركة معنا ، ليعيد العلاقة المكسورة، ليُحبَّنا خارجاً عن ذواتنا القديمة وداخل ذواتنا الجديدة.

هذه هي العطيّة العظيمة التي جاء على الأرض ليمنحها لكل واحد منا. إن جميع العطايا تتضاءل أمامها، ولكن البعض ترك هذه العطيّة دون أن يطلبها، وآخرون قبلوها وحملوها ولكنهم فشلوا في أن ينزعوا الغطاء عنها لينظروا داخلها ليكتشفوا المجد المُخَبّأ فيها. إنّ العطية مُرسلة لك أنتَ شخصيّاً، إنها محبّة اللّه لك، إنها غفرانه، إنها سلامه، إنها قوّته المُخلِّصة، إنها وجوده معك الآن وإلى الأبد. إن كل هذا مُخبَّأ داخل شخص واحد، المولود في بيت لحم اليهوديّة، لأن اللّه نزل إلينا على الأرض لا ليعطينا دستوراً ولا شريعة ولا فلسفة، ولكنه نزل ليعطينا ذاته.

وقتٌ يُعمَل فيه

يُقارن اللاهوتي المرموق إميل برونر *Emil Brunner* مجيء المسيح إلى العالم بمجيء جرّاح ليُجري جراحة لإنقاذ مريض.

اللّه نظر إلى العالم كما يجلس الطبيب على فراش المريض الذي يهذي من الحمَّى لدرجة أنه لا يَدري بوجود الطبيب، بينما الطبيب ينصت جيّداً إلى تنفُّسه ويعد النبض بانتظام ويقيس الضغط باستمرار، وفي اللحظة الحَرِجَة يستدعي الطبيب مُساعديه ويقول: «لا يمكن التأجيل، جَهِّزوا حجرة العمليات فوراً».

هكذا الرب مثل طبيب حقيقي جَلَسَ بجوار البشريَّة المريضة لعدّة قرون ينصت إلى تنفُّس الإنسان الرّوحي ويعدّ نبضات روحه، وفجأة وفي يوم الميلاد قَرَّر أن وقت عمليّة التجسّد قد أتى. يا لها من عمليّة دقيقة جداً، الطبيب الجرّاح الأعظم قرَّر أن ينزل من السمَاء ليجري العمليّة بنفسه.

«وُلِدَ لكم اليوم في مدينَة داود مُخلِّص» (لو ٢:١١)

إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم، فالمسيح واقفٌ يقرع وبإلحاح على باب قلوبنا ، يريد أن يدخل ويسكن فيها ، منتظراً أن نفتح له، ونعود إليه عودة الإبن الضال لحضن أبيه.

أيقونة الميلاد من دير جريبيت لاقرا في جبل آثوس

يقول **القديس غريغوريوس النيصي:**

﴿هل تتساءل لماذا وُلِدَ اللّه بين البَشَر ؟

هذا هو سبب وجود اللّه بين الناس: كانت طبيعتنا مريضة وفي حاجة إلى طبيب، الإنسان سَقَط واحتاج إلى مَن يُقيمه. الإنسان الذي توقّف عن عمل الصلاح احتاج إلى مَن يعيده إليه. الإنسان الذي أُغلِقَ عليه في الظلام احتاج إلى الحياة. السَّجين كان يبحث عمَّن يفديه، والمأسور عن مَن يُنقذه، والذي كان تحت نير العبوديّة كان يبحث عمَّن يُحَرِّره. هل هذه الأشياء قليلة أو تافهة لتضطر اللّه ليأتي ويفتقد الطبيعة البشَريَّة .. ؟ ﴾

ولكن لماذا ؟ لماذا كان الإنسان مريضاً ؟ لماذا احتاج إلى جراحة ؟ لماذا احتاج إلى مَن يُقيمه ؟ لماذا احتاج إلى مَن يُعيد إليه الحياة ؟ لماذا كان ضرورياً أن ينْزل اللّه نفسه من السماء ليُجري بنفسه هذه العمليّة الجراحيّة ؟

إنّ إجابة هذه الأسئلة هي أن الإنسان كان ميتاً بالخطيّة، كان محتاجاً إلى مُخلِّص: «وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّص» (لو ٢:١١) ، بلَغت حالة الإنسَان إلى درجة حَرِجة كان لا ينفع معها سوَى العلاج الفعَّال، الجراحة، اللّه نفسه كان الجرَّاح، **وكان دمه الخَاص الذّاتي هو المُستَخدَم في عمليّة نَقل الحياة إلينا.**

ما أنتَ إلاّ كَزَرعٍ عند خُضرَتِه ... بِكُلِّ شيءٍ مِنَ الآفاتِ مَقصودُ

فإن سَلِمتَ مِنَ الآفاتِ أجمَعِها ... فأنتَ عندَ كمالِ الأمرِ محصودُ

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧٣)

النبي إيليا والنبي أليشع

الملك ياهو يخرّ ساجداً أمام الملك شلمناصر

الفترة الثالثة: إستمرّت ١٠٠ سنة وحكمت فيها أسرة واحدة ضمت خمسة ملوك هم: ياهو ويهوأحاز ويعوآش ويربعام الثاني وزكريا.

أليشع وإنقلاب ياهو (٨٤١–٨١٣ق.م.):

مع أنّ أليشع كان تلميذاً لإيليا النبي العظيم وَمُسحَ بعد صعوده نبياً ليقيم خدمته (٢مل ١٥:٨)، لكنه كان مختلفاً عنه فقد كان أليشع واحداً من الأنبياء المنتشرين كما أن ظهوره مع الجيش في حربه السابق ضد موآب يدل على أنه كان شخصية عامة في إسرائيل يشترك في شؤون الدولة الخارجية والداخلية، وكان مشيراً ليهورام بن آخاب ويبدو أنه كان عضد بيت عمري لعدة سنوات قبل أن يستلم الرسالة من إيليا. وعلى الرغم من الشفاء المعجزي لنعمان السرياني القائد العسكري السوري الذي تم بواسطة أليشع لكن سرعان ما انقلبت سوريا على إسرائيل ونشبت بينهما حروب ضارية، وحاول السوريون أسر النبي دوثان، لكنهم أصيبوا بالعمى وقادهم النبي إلى السامرة عاصمة إسرائيل، وعندما حاصر الجيش السوري السامرة تنبأ أليشع عنهم بأنهم سينسحبون إلى ما وراء الأردن تاركين ورائهم السلاح والغنائم وكان الخلاص معجزياً ، وكان النبي له دورٌ هام في الحياة السياسية ليس فقط في مملكة إسرائيل بل في سوريا أيضاً، فبعد أن خُنِقَ الملك بنهدد وهو في فراشه شَجَّعَ أليشع حزائيل أن يعتلي العرش.

وأرسل أليشع ومَسَح ياهو ملكاً وأوصاه أن يقضي على بيت عمري (١مل١٩:٢١ ، ٢مل١٧:٥ ، ٢٦:٢٦) وحان إنقلاب ياهو ذلك القائد الثائر والذي كان له دور بارز وكان يقود سلاح المركبات في معركة كركر منذ عشر سنوات مضت، وكان غاضباً على سياسة بيت عمري. وكان يهورام قد تراجع مجروحاً إلى يزراعيل وكانت جيوش إسرائيل ويهوذا تدافع عن راموت جلعاد في المعركة ضد سوريا، وبعد أن شفي الملك من جروحه في يزرعيل وتبعد نحو ٢٥ ميلاً (٤٠ كم) تقدّم ياهو نحو الأردن وكان قد نجح في أن يقود مؤامرة انضمت إليه فيها العناصر الدينية، وصعد إلى وادي يزرعيل أمام بيت شان (بيسان) وفي كرم نابوت الذي كان قد اغتصبه أخاب، ضرب يهورام ضربة سيف نفذت إلى القلب ومات. وتتبع ياهو ورجاله ملك يهوذا الصغير وأصابوه، وقبل أن يصل إلى مجدّو مات ودُفن في قبر آبائه بأورشليم، وكانت إيزابيل تطل من نافذة القصر فأمر ياهو بأن يلقوها فسقطت وسال دمها على الحائط ووطئتها أرجل الخيل وأكلت الكلاب لحمها لتتحقق نبوّة إيليا المخيفة (٢مل ٣٥:٩–٣٧)، وبموت يهورام وأخزيا وإيزابيل بدأ تطهير ياهو واستأنف المذبحة فقتل أبناء أخاب السبعين وامتدت يده إلى البيت الملكي في يهوذا وقتل منه كثيرين وقتل أنبياء البعل (٢مل١٠:١١).

وأسس ياهو أسرة ملكية جديدة في مملكة إسرائيل أما مملكة يهوذا فقد إغتصبت عثليا العرش (٢أي ٢٢:١٠)، ونجح ياهو في ثورته كما خسرت سوريا في فترة حكمه أرضاً شرق الأردن، وعلى الرغم أنه أباد بيت أخاب وأزال عبادة البعل في ثورته العاصفة إلاّ أنه إستأنف عبادة عجل يربعام في دان وبيت إيل فصار الرجل الذي إختاره أليشع ليكون ملكاً في إسرائيل كارثة على الأمة، وسرعان ما سجد إلى الأرض بوجهه أمام ملك أشور.

تحت سيف أشور:

بعد إنقضاء حكم أسرة عمري حوالي سنة ٨٤٢ ق.م. عَمَّ عدم الإستقرار الديني وتجدّدت الحروب مع سوريا وممالك شرق الأردن أدوم وموآب وعمون ، واستعادت إستقلالها، لأن إسرائيل ويهوذا صارتا في حالة ضعف، فقد تأثرت يهوذا بالعنف الذي صاحَبَ ثورة ياهو وفي هذا الضعف فقدت معظم النقَب، أما إسرائيل فقد ضاع منها الحلف الذي أبرمته أسرة عمري مع فينيقية، كما أنّ سوريا في حُكم ملكها حزائيل (٨٤٢–٨٠٦ ق.م.) كانت تزداد قوّة، وبينما كانت أشور بعيداً مشغولة، نجح حزائيل سنة ٨٤١ ق.م. في أن يوجّه هجوماً عنيفاً إلى جلعاد وأرغم ياهو أن يطلب معونة من شلمناصر (٨٥٩–٨٤٢ ق.م.) الملك الأشوري والذي تقدّم زاحفاً بجيوشه، وفوضت أشور سلطانها في المنطقة، وقد إكتشف سير أوستن لايار في كالح مدينة نمرو القديمة سنة ١٨٤٥م المسلّة السوداء والتي تركها شلمناصر وسجّل عليها أخبار إنتصاراته وذَكَرَ الحلف السوري الإسرائيلي وسجّل إسم حزائيل ملك دمشق (١مل١٩:١٥–١٧)، وعليها صُوَر ونقوش عن ملوك يجلبون معهم الجزية لأشور، وفيها ياهو ملك إسرائيل وهو يركع بيديه ورجليه ويخرّ بجبهته إلى الأرض أمام شلمناصر. وعلى المسلّة مسجّلٌ قائمة بأوصاف الجزية التي قدّمها ياهو وجاء فيها:«**جزية ياهو بن عمري: فضة، ذهب، أناء من الذهب، كأس من الذهب، أقداح ذهبية، وأواني ذهبية، رصاص، عصا ليد الملك، رماح، فاكهة**» وهذا بعينه ما جاء في (٢مل١٧:٣).

عيد ميلاد في كوريا

قصة من واقع الحياة

كانت عشيّة عيد ميلاد قارسة البرودة عام ١٩٥٤ فى كوريا . وكانت هناك أم حامل، صغيرة السن تدعى **باك يوون** .قُتل زوجها مؤخراً في الحرب الكورية، ولم يكن لديها أحد آخر تتجه إليه، فراحت تعرج فوق الجليد متجهة الى منزل مُرْسلَة إسمها **مس واطسن** حيث كانت تعلم أنها ستجد المعونة ، وقد تجمدت دموع الحزن على وجنتيها، إذ وجدت نفسها وحيدة وحزينة.

وكان هناك في الطريق بالقرب من منزل صديقتها المرسلة قناة عميقة يربط ضفتيها جسر، وبينما باك يوون تتعثر قدماها متجهة الى منزل المرسلة، فاجأتها آلام المخاض بشدّة. فوقعت وأدركت أنه لن يمكنها مواصلة طريقها مرة أخرى، فزحفت تحت نهاية الجسر. وهناك ولدت بمفردها وهي وحيدة وطفلها الذي ولدته كان ذكراً.

لم يكن لدى باك يوون أي شيء غير ملابسها الثقيلة المبطنة التي ترتديها. فأخذت تخلعها قطعة بعد الأخرى وتلفها حول المولود، الذي كان لا يزال مرتبطاً بها بواسطة حبل الصرّة وبعد ذلك داهمها الإعياء فرقدت ساكنة على الجليد بجوار ابنها الوليد.

في صباح اليوم التالي، كانت مس واطسون وهي مُرسلة لها مدة طويلة في كوريا، تقود سيارتها عبر ذلك الجسر ومعها سلّة ممتلئة بالأطعمة كهدية عيد الميلاد لأحد العائلات المحتاجة. وفي طريق عودتها للمنزل، ولدى اقترابها من الجسر إذ بالسيارة تقف وذلك بسبب نفاذ البنزين.

خرجت مس واطسون من السيارة وبدأت تعبر الجسر سائرة على قدميها. وإذ بها تسمع صوت صراخ طفل خفيف... توقفت للحظة لتتأكد من ذلك الصوت، وإذ بها تسمع الصرخة الخافتة مرة أخرى وكأنها صادرة من تحت الجسر !. زحفت مس واطسن تحت الجسر لتبحث عن مصدر الصوت وهناك وجدت ولداً صغيراً مقمطاً ، دافئاً ولكنه جائع، ووجدت أم ذلك الطفل متجمدة حتى الموت. بعد أن قطعت حبل الصرّة، أخذت الطفل معها للمنزل. وبعد أن اعتنت به عادت ومعها بعض المعاونين، حيث حملوا جثمان الأم باك يوون الى قرب المكان الذى كانت تعيش فيه حيث دفنوها.

سَمَّت مس واطسون المولود **سو بارك** ، وتبنّته. كان قوياً وبصحة جيدة وهكذا نما وسط كثير من الأطفال اليتامى الآخرين الذين كانت مس واطسون ترعاهم، ولكن سو بارك كان ذو منزلة خاصة لديها. وكثيراً ما كانت تقول له «والدتك أحبتك حباً عظيماً يا سو بارك»، وقد برهنت على حبها العظيم لك بأنها ماتت متجمّدة لأنها خلعت ثيابها لتَلُفَّكَ بها ، لم يملّ هذا الصبي أبداً من السماع عن أمه التي أحبته بهذا المقدار .

فى يوم عيد الميلاد الموافق لعيد ميلاد **سو بارك** الثانى عشر، كان الثلج يتساقط. وبعد أن أحتفل الأطفال بعيد ميلاد سو بارك، ذهب فجلس بجوار مس واطسون وقال لها متسائلا :«هل تعتقدين أن اللّه سمح أن سيارتك تفرغ من البنزين ذلك اليوم حتى يمكنك أن تجدينى ؟ » . فأجابته قائلة: « ربما هو فعل، لأنه لو لم تتعطل السيارة يومها ما كنت قد وجدتك. ولكننى مسرورة جداً أنها توقفت يومها، فأنا أحبك كثيراً كما أننى فخورة جداً بك يا سو بارك». ثم أحاطته بذراعيها .

أسند سو بارك رأسه عليها وقال «ماما واطسون ، هل تسمحين وتأخذيني الى مقبرة والدتي؟ فأنا أريد أن أشكر اللّه من أجلها، وأشكرها أيضا لأنها وهبتني الحياة.»

فقالت له: « نعم ولكن ارتدي معطفك الثقيل فالجو شديد البرودة ».

بجوار المقبرة ، طلب سو بارك من ماما واطسون أن تتركه وحده وتنتظره. فمشت بعيداً وانتظرت. وإذا بماما واطسون تملأها الدهشة وهي تراقب الغلام وقد بدأ يخلع ملابسه الدافئة قطعة بعد الأخرى. ظنت أنه بالتأكيد لن يخلع كل الملابس! لأنه حتماً سيجمد. ولكن الغلام نزع عن نفسه كل شيء ، ووضع جميع الملابس على **قبر والدته** ، ثم ركع عارياً على الجليد وهو يرتجف بشدة من البرد. انتظرت مس واطسن دقيقة ثم دقيقتين. ثم بعد ذلك تقدمت ووضعت يدها على كتف الصبي.

نظر إلى مس واطسن ثم إنحنى نحو القبر وفي حزن عميق صرخ الغلام من أجل والدته التي لم يعرفها على الإطلاق « هل بردتي هكذا بل وأكثر من هذا من أجلي يا أمي؟ » ، ثم بكى بمرارة لأنه عرف بالطبع ، أنها عانت أكثر من ذلك .

أخي وأختي لقد أخلى الرب يسوع نفسه من أجلك ومن أجلي... إفتقر وهو الغني لكي يغنينا نحن الفقراء... الذي لم يفعل خطية صار خطية لإجلي ولإجلك لكي يلبسنا ثياب بره هو...احتمل كل آلام الصليب، لكي لا نحتمل نحن عذاب جهنم ... فهل أدركت فعلا مقدار محبته لك؟ بالتأكيد هذا ما فعله هو من أجلنا.

«اللّه بيّن محبّته لنا، لأنه ونحن بعدُ خطاة، مات المسيح لأجلنا» (رو٥:٨).